الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإفريقية – أحمد دراية – أدرار

رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير

البعد الوطني في الرواية الجزائرية المعاصرة

" وأخيراً تتلألأ الشمس" " لمحمد مرتاض"

- نموذجاً -

* ***من إعداد الطالبة :***

فاطمة قاسمي

بإشراف الدكتور:

"جعفري أحمد"

بسم الله الرحمن الرحيم
والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه أجمعين

الإهداء :

أهدي هذا العمل مع خالص امتناني إلى والدتي العزيزة ، الغالية بارك الله في أيامها .

وإلى روح والدي الكريم ،ربي اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا.

... في بعض الأحايين .

تحمل النقاط معاني الكلمات ، والحقيقة أن الصمت عن الكلام هو الكلام و الكلام هو إفساد للمقصد، والكف عن إفادة المعنى هو إفادة ، والمراد أني لا أستطيع أن أشكر والدتي ،عم سأشكرها ؟، في الحقيقة يعجز اللسان عن قول أي شيء.

كما أترحم على والدي الكريم وفاء لذكراه وأهدي عملي هذا إلى أخوتي : محمد و عبد الكريم .

و إلى كل طالب ، و محب للعلم .

فاطـــمة

كلمة شكر وتقدير وامتنان :

أحمد الله وأشكره في أول الأمر ، على كل نعمة ، ثم أتقدم بكل احتراماتي ، وخالص تشكراتي و تقديري إلى الأستاذ الدكتور "الطاهر مشري" ، والأستاذ المشرف "أحمد جعفري" على جهودهما الكبيرة ، ومساندتهما لي .

شهادتي فيهما مجروحة مهما قدمت لهما من شكر .

أشكر كل أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، وكل من ساعدني أثناء إنجازي لهذا العمل.

فاطمة

مدخـــــل

السيرة الذاتية والعلمية " لمحمد مرتاض" :

1- حياة "محمد مرتاض " : [1]

ولد "محمد مرتاض" في 18 فبراير 1941 ، بمسيردة الفواقة ولاية تلمسان ،ناضل بصفوف جيش التحرير الوطني برتبة ضابط من سنة 1959 إلى يناير 1963 ، وقبل أن يلتحق بالمدرسة ثم الجامعة تلقى تعليمه على يد والده الحاج الأستاذ سيدي عبد القادر بوطالب – طيب الله ثراه ، وبرّد ضريحه – حيث حفظ القرآن الكريم.

كما تلقى على يده الشريفة علم النحو متمثلاً في الألفية والأجرومية ولامية الأفعال وعلم الفرائض، وحفظ تحت إشرافه أيضاً مصنف ابن عاشر في الفقه والشعائر والتصوف، ثم السنوسية الصغرى للولي المتصوف سيدي محمد السنوسي دفين تلمسان، وابتدأ معه في مصنف خليل، ومبادئ البلاغة العربية ، وحفظ تحت إشرافه ورعايته كثيراً من الشعر العربي في طليعته لامية العرب ، ولامية العجم.[2]

(1) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية . مخطوط ،محمد مرتاض ص2.
(2) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية ، الصفحة نفسها .

التحق بصفوف الثورة الجزائرية وعمره لما يتجاوز السابعة عشرة ، وظل مناضلا مجاهداً في صفوفها إلى أن وضعت الحرب أوزارها .[3]

هذا بالنسبة لسيرته الذاتية ،وما يلاحظ فيها أن المؤلف تشبع بالمنابع الإسلامية والعربية ،إذ ارتوى الكاتب من القرآن الكريم ،وتزود بالأصول العربية من شعر وغيره ،وتلقى مختلف العلوم و حفظ مصنفات مختلفة ومتنوعة .

2- السيرة العلمية " لمحمد مرتاض ": [1]

أ – الشهـــادات :

تحصل الكاتب على عدة شهادات منها :

- شهادة الليسانس – أدب عرب
- شهادة الكفاءة في التربية وعلم النفس.
- شهادة الكفاءة للتعليم الثانوي.
- شهادة المناهج في الأدب.
- شهادة الماجستير في الأدب.
- دراسات أدبية ونقدية في الأدب العربي.

(3) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية ، الصفحة نفسها .
(1) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية . محمد مرتاض ،ص 3 .

يتضح من خلال ما تقدم أن سيرة"محمد مرتاض " العلمية تترجمها الشهادات المختلفة و المتنوعة التي تحصل عليها ، و كذا مجموع المسؤوليات العلمية و التربوية التي استلمها .

ب- الوظائف العلمية والمهنية والتربوية :

لقد استلم المؤلف وظائف متعددة في مجال التربية، والتعليم العالي، هي موضحة كالتالي:[1] - أستاذ التعليم الثانوي .

- أستاذ مساعد بقسم اللغة والأدب العربي بكلية الآداب بجامعة تلمسان.
- أستاذ مكلف بالدروس .
- أستاذ محاضر.
- أستاذ التعليم العالي.

بالإضافة إلى هذا فقد شغل الكاتب وظائف ومسؤوليات عدة، مابين رئيس وعضو في مجالس ولجان مختلفة منها : [2]

(1) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية . محمد مرتاض ،ص 4.

عضو المجلس الأعلى للجامعة، عضو اللجنة التربوية الوطنية لإعداد البرامج الجامعية وتطويرها واقتراح ما هو جديد بشأنها، ثم المساهمة في تأسيس خلية علمية / تربوية بين كل من وزارة التربية الوطنية ،ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي في جامعة تلمسان للتفكير في الدفع بالطالب الجزائري بخاصة والجامعة الجزائرية بعامة إلى الهدف المتوخى من التعليم والبحث، بعدها عضو في المجلس التوجيهي لجامعة تلمسان، ثم عضو مجلس أخلاقيات المهنة، ثم مدير مخبر جامعي عنوانه : "الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي من التأسيس إلى نهاية القرن العشرين"، بعدها رئيس شعبة الدراسات العليا (قسم الماجستير)– أدب مغربي قديم ،ثم أمين الفرع الجهوي (تلمسان– بلعباس– تموشنت)لاتحاد الكتاب والصحافيين والمترجمين الجزائريين، فعضو اتحاد الكتاب الجزائريين [1].

ما يلاحظ من خلال ما تقدم أن المؤلف تسلم عدة مسؤوليات تربوية وعلمية – خصوصاً – وأنه عضو اللجنة التربوية لإعداد البرامج الجامعية وتطويرها و اقتراح ما هو جديد بشأنها، وهذا ما يجعل المؤلف أكثر فعالية في مجال التعليم العالي .

---

(2) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية . محمد مرتاض ،ص 5 .
(1) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية .محمد مرتاض ، ص05 ، 06 .

تحصل المؤلف على جوائز عدة على المستوى الوطني منها: الجائزة الأولى في القصة القصيرة،والجائزة الأولى في الرواية الثورية [2]،وهذا يدل على اطلاع وتمكن المؤلف من الكتابة الروائية المتعلقة بالثورة والنضال الوطني.

3) آثـــاره :

أ-النشاط العلمي:

- رئيس مشروع بحث بعنوان : "أعلام تلمسان:دراسة تاريخية – فنية – دلالية – معجمية" و قد استمر هذا المشروع خمس سنوات (من سنة1994 إلى سنة 1998).

(2) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية . محمد مرتاض . ص 06 .

مدخـــــل

رئيس مشروع بحث عنوانه : "التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسية الهجرية الثانية : دراسة تاريخية – دلالية– فنية" ،ورئيس مشروع بحث جامعي عنوانه "الأدب الجزائري و أعلامه في الخمسية الهجرية الثانية" .[3]

هذا و يلاحظ أن اهتمام الكاتب ينصب على أدبنا الجزائري – خصوصا – ما تعلق منه بالتجربة الصوفية ، أو الأعلام الجزائرية.

نشر الكاتب في مختلف الجرائد والدوريات الوطنية والعربية أهمها: [4]

الجمهورية . الشعب . المجاهد (الأسبوعي). النصر . مجلة" الثقافة والثورة" الصادرة عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي . مجلّة "الرؤيا" الصادرة عن اتحاد الكتاب الجزائريين .

هذا بالنسبة للجرائد و الدوريات الوطنية أما العربية أهمها ما يلي : [1]

جريدة "القادسية" العراقية. "البعث"" السورية . ""الثقافة العربية ""الليبية .

(1) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية . محمد مرتاض ،ص 6 .
(2) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية . محمد مرتاض . ص07 .

هذه المشاركة المتوسعة للمؤلف في المجلات والملتقيات الوطنية والعربية تطلع القارئ العربي على أدبنا الجزائري ،وعلى ما وصلت إليه الحركة الثقافية الجزائرية.

ب – المؤلفات المنشورة:

قام الكاتب بتأليف ونشر عدة كتب في مجالات متعددة ، يذكر منها ما يلي: [2]

- قصص قصيرة جزائرية (بالاشتراك) . النقيض . ثمن حرية . الانتهازية. الخط العربي وتاريخه . من قضايا أدب الأطفال . الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري . مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري

الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري .

مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم .

- النقد الأدبي في المغرب العربي : نشأته وتطوره (دراسة وتطبيق).
- درس لا ينسى .
- من أعلام تلمسان.

من خلال هذه المؤلفات المختلفة والمتنوعة يتضح أن الكاتب يؤلف في مجالات عدة منها:الرواية والمسرحية، والقصة القصيرة وكذا الدراسات الأدبية في مجال أدب الأطفال ،والشعر العربي القديم ،وأعلام الجزائر . تلمسان . خاصة .

كما كتب المؤلف مؤلفات وأبحاث هي تحت الطبع كالتالي : [5]

(1) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية .ص 09 .

- الخطب والرسائل النبوية وقيمتها الفنية .
- وادي الأسرار .
- قراءة في أدب الطفولة الجزائري.
- التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي.

ج –الأعمـــال المخطــوطة:

ألف الكاتب مجموعة من المؤلفات يمكن سردها كالآتي: [2]

- الخطاب الشعري عند فقهاء المغرب العربي .
- نظرية القراءة .
- الأدب المغربي القديم بين التأصيل والتجريب .
- المغرورة .
- رحلة في تعاريج الزمن.
- القراءة الجديدة لنقل العربي القديم .

(2) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية ،ص 10 .

- بستان بلا عصافير .
- الصوت الهادر.

يشرف المؤلف حالياً على أطروحات دكتوراه ، ورسائل ماجستير في الكلية التي عمل بها وفي كليات أخرى بالجامعات الجزائرية (جامعة الجزائر– جامعة وهران جامعة قسنطينة جامعة ورقلة جامعة بلعباس / جامعة بشار...)، كما تولى "محمد مرتاض" تدريس المواد العلمية في قسمي الليسانس والدراسات العليا [6].

لقد درس المؤلف عدة مواد، بالإضافة إلى نشاطه الجمعوي، ومشاركته في الكليات،وهذا النشاط العلمي والحركية الموجودة في حياة الكاتب تؤثر بشكل إيجابي وفعال في ثقافته وفكره .

وللتعرف على موضوعات كتابات " محمد مرتاض" ،لابد من إطلالة ضرورية عليها ،ومنها كتابه "من أعلام تلمسان" (مقاربة تاريخية فنية) إذ يذكر فيه المؤلف سبب تأليفه لهذا الكتاب ،وهو ما لاحظه من "تجاهل فظيع لرجالاتنا الذين أدّوا دوراً ريادياً في الخمسّية الهجريّة بخاصة . وما يجدر ذكره ،هو أنّا سجلنا هذا المشروع ونحن واجفون مترددون ،لأننا كنا ننظر إلى هؤلاء الأعلام

(1) ينظر ، السيرة الذاتية والعلمية . ص 10 ،12 .

من وراء زجاج كثيف ،فالمظانّ في الحقل شبه منعدمة ،والدراسات عنه مغيبة أو غائبة"[2]

بالإضافة إلى ذلك فالكتاب قد تضمن العديد من الأعلام والأخبار ،وسيسد "منافذ ، ويجيب عن تساؤلات تتعلق بالتاريخ الثقافي للجزائر بعامة ،وتلمسان بخاصة ... إذ عني بأدباء مرموقين ،وبشعراء نوابغ ،وبفقهاء موسوعيين ، وبعلماء كلام متعمقين ،ولم يهمل في الوقت نفسه أعلاماً لم يكن لهم حظ من الشهرة ،ومرت عليهم مصادر تلك الحقبة مرور المتجاهل لهم ،فلم يدوّن عنهم إلاّ صورة باهتة"[1]

ومما يلاحظ أن رجال الفكر والثقافة "تكاثروا في القرن الثامن الهجري ،ولكن الأمر كان أقل في القرنين السادس والسّابع الهجريين ،ثم يلاحظ تراجعهم في القرن التاسع الهجريّ قبل أن يبدأ نجمهم في الأفول بعد ذلك"[2]

وهناك أعلام لم ينالوا حظّهم من العناية في البرامج "المدرسية والثانوية والجامعية خاصة ،من أمثال الشريف التّلمساني (792هـ)"الذي يعدّ آية زمانه ،وموسوعة عصره ،ومفخرة الجزائر ،فقد كان عالم فقة ودين ،وكان أديباً وشاعراً

(2) من أعلام تلمسان (مقاربة تاريخية فنية) .محمد مرتاض ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، دط ، دت ،ص 7 .
(1) من أعلام تلمسان . ص 8، 9 .
(2) المرجع نفسه . ص90 .

ولغوياً ومفتياً وأصولياً ،وحسبنا أن نذكر تلامذته وطلبته الذين تبحروا في علوم اللغة والأدب والدين ،والبلاغة والنقد ، من أمثال ابن مرزوق الحفيد المتوفى سنة 842هـ".[3]

لقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في تقصي أخبار الأعلام الذين غمرهم النسيان ، وسيطر عليهم شبحه ،فقام المؤلف بنفض الغبار عن أسمائهم ،وتسجيل أعمالهم في ذاكرة التاريخ .

أما في كتابه "النقد الأدبي القديم في المغرب العربي ،فقد ساق الكاتب أسباب تأليفه ،ودواعي بحثه ،والدافع الذي كان يقف وراء الخوض في هذا الموضوع ،والمتمثل في ما هو ملاحظ من فراغ مهول في المكتبات الجزائرية والعربية ،وفي المكتبات الجامعية بخاصة ، ولا سيما مكتبات معاهد اللغة العربية وآدابها حين يتجه طلابنا إلى الاستنجاد بها عساهم أن يظفروا بمرجعيّة تعينهم على سد الفراغ".[7]

(3) المرجع نفسه . ص 11 ، 12 .

(1) النقد الأدبي القديم في المغرب العربي (نشأته وتطوره – دراسة وتطبيق) .محمد مرتاض ، اتحاد الكتاب العرب ، دط ،2000، ص 07 .

وقد تطرق المؤلف إلى تفنيد النظرة التشاؤمية التي تتعاطى مع النقد المغربي على أساس اقتصاره على الممارسة لجانب البديع فقط.[8]

ومن النقاد الذين تعرض لهم المؤلف :"عبد الكريم النهشلي" ،"والقزاز" ،"وابن رشيق " و"وابن شرف" ،فقام ببسط وجهات نظرهم والشعر ومفهومه ، وقيمته.

وتجمع آراء هؤلاء النقاد على أن الشعر "يوحد ولا يشتت وينمي سلوكاً حسناً ،أو يبعث في النفوس صلابة ، ويدعو إلى البر ويصحح السلوكات ، كما كانوا يعيبون الوقوع في السقطات والمزلات تزلفاً للحكام ،أو تقوية للخصومات"[9]

لقد وضع المؤلف كتاب "مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم "من أجل الوصول بالقارئ العربي إلى "استكشاف خبايا ومزايا هذا الجمال الأدبي في الشعر العربي القديم،وهو كذلك دعوة صادقة له حق يرجع إلى اللآلي في ذلك الأدب وجواهره لينعم بجمالها،ويستنير بضيائها، فيرفض كثيراً من

(2) ينظر ،المرجع نفسه . ص 25.
(3) الفضاء المغاربي ، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربي ،جامعة أبي بكر بلقاسم ، تلمسان ،العدد الثالث ،السنة الرابعة ،شعبان 1426 هـ ،سبتمبر 2005 ، "قراءة في كتاب النقد الأدبي القديم للدكتور محمد مرتاض .نورية بن عدي " ، ص82

الادّعاءات،وينبذ كثيراً من الافتراءات التي تكال للشعر العربي القديم باطلاً ومجانا"[10]فالكاتب يقدم للقارئ ما ينطوي عليه الشعر العربي القديم من جمال.

ومن أجل معالجة هذه القضية جعل في كتابه جزءاً تطرق فيه لتاريخ العرب وبعض المفاهيم التي طغت عندهم ،أما الجزء التطبيقي فقد خصصه بما طبع الشعر العربي القديم من تناميات جمالية ظلت تتطور عبر العصور .

وذكر المؤلف دوافع تأليفه لكتابه "من قضايا أدب الأطفال" والمتمثلة في ما يقول : "لقد شرفني المجلس العلمي فأسند إليّ تدريس مادة أدب الأطفال بجامعة تلمسان ،حيث ولجت عالماً جديداً واكتشفت مجاهل مغلقة مليئة بالسمو الروحي والصفاء الذهني والطبع الفطري وعلى التنقيب في تراثنا العربي الإسلامي- حيث ألفت نماذج- وإن لم تمثل هذا الأدب – فهي لبنات صلبة لجدران العصور اللاحقة".[11]

ثم أوضح المؤلف من خلال فصول الكتاب أن هناك "قلة اهتمام بأدب الطفل في العالم العربي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة ، ونستطيع أن

(4) مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم (محاولة تنظيرية وتطبيقية) .محمد مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1998 ، ص04

(1) من قضايا أدب الأطفال (دراسة تاريخية فنية) .محمد مرتاض ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1994 ، ص ب .

(2) من قضايا أدب الأطفال (دراسة تاريخية فنية). ص ب.

نؤكد مطمئنين بأن هذا التقصير لا يعود إلى الإنكار والجحود لهذا الحس الأدبي بقدر ما يعود إلى تهميش الثقافة وطغيان الجانب السياسي والجانب الاقتصادي وغيرهما مع أن الثقافة أصلاً هي التي يجب أن تتصدره وتسود بصفتها الأصل واللب والجوهر " .[2]

فأدبُ الأطفال أدبٌ مهمُ جداً لأنه يكوّن النشء الذي يعد البذرة الأولى في المجتمع ، و طريقة تكوينه تعطي صورة عمّا سيؤول إليه ، لذا من الضروري العناية و الاهتمام بهذا الأدب ولابد من تسجيل اهتمام الكاتب بالخط العربي الذي يكتسي أهمية كبرى في "تدوين الحقائق وتسجيل الأحداث التاريخية وتوثيق الوثائق الهامة ، ذلك أن عدم تقييد الوقائع والأحداث الذي كثيرا ما يؤدي إلى إثارة الشكوك حولها كما هو الحال بالقياس إلى الشعر الجاهلي والأدب والتراث الإنساني عموما ، ذلك أن الرواية واحداً عن الآخر قد تكون دوماً صادقة لأنّ العقل البشري معرض للانهيار و التغافل" .[13]

و قد ألحّ المؤلف على وجود الكتابة قبل الإسلام ، و قدم من القرآن الكريم والشعر ما يدعم مقولة معرفة عرب ما قبل الإسلام بالكتابة.[14]

---

[13] الخط العربي وتاريخه .محمد مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1994 ، ص ب .
[14] ينظر ، المرجع نفسه ، ص 150.

إلى جانب هذه المؤلفات نجد أن الكاتب قد ألف القصة و الرواية والمسرحية ، ومن رواياته "ثمن الحرية"و التي تحكي قصة الثورة الجزائرية المسلحة .

إذ يروي المؤلف أحداثا وقعت أيام الثورة، حيث ضحى الشعب الجزائري بأبنائه من أجل استقلال الوطن وحرية الشعب، وقد جاء في الرواية على لسان أحد شخوصها :" إننا نرفض أن نعبد الله تحت راية الكفر". [15]

فمن أجل الحرية والاستقلال كتب المؤلف "محمد مرتاض"رواية "ثمن الحرية" تبياناً لما دفعته الجزائر من ثمن ، وتصويراً لما قدمه الشعب من تضحيات بغية الحرية.

[15] ثمن الحرية . محمد مرتاض ، دار البعث ، قسنطينة ، د- ط ، 1987 ، ص63

مقدمة

إن أدبنا الجزائري سواء القديم أو الحديث ،جدير بالدراسة والاهتمام والعناية ومع ما يوجد من دراسات تنصب على هذا الأدب فهو ما يزال بحاجة إلى إعادة القراءة والنظر والإمعان.

ويمكن القول بأن الأدب الجزائري تناول مواضيع شتى ومتعددة ،منها الوطن ، وما برح هذا الموضوع أن يكون ديدن الكتاب والشعراء ،فشغلهم كما شغلت ثورتنا المباركة الورى ،فنجده يكتسح الشعر كما النثر ،لا سيما الرواية التي تعد قالباً تصب فيه ثقافة المجتمع وخصائصه، واغتدت الكتابة الروائية ذات بعد وطني واتجاهات تاريخية وملامح ثورية، ومعالم تحريرية ،تروي قصة الجزائري مع الكفاح والنضال ، وتحكي روايته مع الوطن، وتخفي بين تقاسيمها قسمات الوطن.

إضافة إلى هذا فالمراد من هذه الدراسة ليس هو مجرد كشف واطلاع وإنما الهدف المنشود هو تركيز الاهتمام والعناية على أحد أقطاب تاريخنا الثقافي والثوري، وعلى مؤلفاته التي تمثل وثائق تاريخية وثقافية وفنية ،بغية مواصلة سلسلة البحوث والدراسات المهتمة بالاتجاه الوطني في الرواية الجزائرية .

يهتم هذا الموضوع بالمضامين والأبعاد الموضوعية– ومنها الوطنية بالتحديد– في الرواية الجزائرية ،فضلا عن هذا فالموضوع يستمد أهميته من أمرين :

مقدمة

الرواية والمؤلف ،أما الرواية فتعرض قصة الصراع والمقاومة مع الاستدمار الفرنسي ،كما تعرض قضية التحرر والاستقلال في مواجهة الهيمنة الاستعمارية.

أما الكاتب فهو روائي ملتزم ،عكست روايته هموم الوطن ،ومعاناته ،كما كشفت عن الوعي الوطني الذي يدعو إلى التمسك بالأرض والدفاع عن الوطن ،فضلاً عن مشاركته في حرب التحرير ،فكيف يصور هذا الكاتب الثورة الجزائرية والحرب التحريرية المباركة في إطار فني ؟

إلى أن التزام الكاتب بالقضية الوطنية ، يؤكد الارتباط الروحي بالأرض ، والحس الوطني و الثوري العالي .

بالإضافة إلى هذا ، تؤكد مسحة هذه الرواية الوطنية الخصوصية المتفردة للأدب الجزائري في كونه أدب مقاومة وثورة ونضال وكفاح .

وتكرس القضايا التي يتناولها هذا الأدب الهدف المنشود ، وهو رسم معالم وملامح وصورة الشعب الجزائري في علاقته القوية والوثيقة بأرضه ووطنه وتقدم ثقافة هذا الشعب من خلال تجربته الثورية والنضالية .

وما هذا النضال والكفاح إلا نتيجة وعي المواطن بقضيته الوطنية و إدراكه لها، وهو وعي عميق بضرورة الالتزام بقضايا الوطن ، والالتزام بحبه، وبضرورة العمل الثوري من أجل النصر ،والحرية ،أو الاستشهاد دونها، إضافة إلى هذا فحب الوطن مطلب ديني" فالرسول صلى الله عليه وسلم"يوم أخرج من مكة ، كان يود أن يبقى فيها ولا يغادرها.

مقدمة

كما يمكن أن أذكر الدوافع التي دعتني إلى اختيار هذا الموضوع ،وفي مقدمتها الرغبة في دراسة أدبنا الجزائري والبحث في جوانبه والعناية والاهتمام به ،خصوصاً إذا ما تعلق الأمر بالقضية الوطنية ، فموضوع الوطن يشدني ،ويحثني –دائماً – على الدراسة.

بالإضافة إلى هذا ،فالكاتب يستحق مزيداً من التعريف رغم باعه الطويل في النقد والتأليف في مجالات عدة ، ورغم جمعه لشتات أعلام تلمسان حفظاً لهم من الضياع وشبح النسيان ، وهذا ما يكرس جدارة مؤلفاته في البحث ، ويجعل إلقاء الضوء عليها سبباً في دفع الغموض عن هذا العلم وجهوده.

أما بالنسبة لرواية المؤلف "" محمد مرتاض "" "" و أخيراً تتلألأ الشمس "" فهي تقدم صورة الثورة في رفضها للسيطرة والاستبداد ،والإذلال وطموحها وإرادتها ورغبتها في الحرية، والأكيد أن أدباء الجزائر تفاعلوا معها وكتبوا عنها بكل صدق وإخلاص .

ونتيجة لما سبق ذكره ،اخترت أن يكون عنوان مذكرة الماجستير التي أنا بصددها :البعد الوطني في الرواية الجزائرية المعاصرة ." وأخيراً تتلألأ الشمس" "لمحمد مرتاض –"نموذجاً–.

كما أن هناك ما يبرر اختياري للموضوع أضيفه لما سبق ذكره ومن ذلك:

- الرغبة في مزيد من التعريف بهذا العلم الجزائري.

- إن لهذا العلم الجزائري دوره في حركة الأدب الجزائري.
- إبراز جهود هذا الكاتب في خدمة الأدب .

من الواضح أن هناك دراسات اهتمت بالقضية الوطنية والثورية وصورة المقاومة وإن كانت هذه الدراسات تلتقي في الإطار العام،إلا أن النماذج المختارة ،وطريقة التناول تبقي على البصمة الشخصية .

والموضوع الذي اخترته ليس ببعيد عن مواضيع يمكن أن تقترب منه ،ولكنها لم تأخذ فحواه فيصبح مثالاً معاداً لما سبق.

و هذه بعض الدراسات التي تناول دارسوها مواضيعهم كل حسب وجهته :

1) الرواية والتحولات في الجزائر (دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية) مخلوف عامر.
2) أزمة المواطنة في شعر الجواهري .فرحان يحيى .
3) الانتفاضة في أدب الوطن المحتل .محمد توفيق الصواف.

وللإشارة فإن المؤَلّف والمؤلَّف يستحقان الدراسة والعناية والاهتمام ، ودراستي ليست تكراراً لما سبق من الدراسات ،لأن المادة خام لم يتم مداعبتها من قبل.

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو :

المنهج الوصفي التحليلي :الذي يقوم على وصف الظواهر من أجل الوصول إلى النتائج ، وعلى ضوئه قمت بوصف ظواهر الرواية من مضمون وفنيات.

إضافة إلى المنهج التاريخي :والذي يستعان به في كل ما يتعلق بالتاريخ، لذلك اعتمدته عندما تعرضت لنشأة الرواية الجزائرية وتطورها .

وتنبغي الإشارة –ها هنا – إلى أن هذا البحث قد أتى في فصلين وخطته كما سيأتي :

المقدمة

ففي المدخل تناولت السيرة الذاتية والعلمية لمحمد مرتاض وآثاره

أما الفصل الأول فقد تناولت فيه الرواية الجزائرية والبعد الوطني .

إذ تعرضت فيه لتطور ونشأة الرواية الجزائرية وموضوعاتها .

أما**المبحث الثاني** فكان عن البعد الوطني في الرواية الجزائرية إذ تطرقت للمعالم الوطنية قبل الاستقلال ثم المعالم الوطنية بعد الاستقلال .

أما الفصل الثاني فكان عن البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس".وكذلك وعي المجتمع وتواصله مع الثورة وأيضا دعم المجتمع وحبه للثورة ووعي المجتمع بقضيته الوطنية .

بالإضافة إلى استقلال الوطن وحرية الشعب والاستجابة لنداء الواجب الوطني .

والتحليق في حلم الاستقلال والعمل على تحقيق الحلم والحلم يصير حقيقة .

كما تناولت تفاعل المضمون الوطني والبناء الفني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"إذ تناولت العنوان الشخصيات الزمن المكان واللغة السردية **ثم الخاتمة.**

وهاته الخطوط العريضة سيأتي الحديث عنها في معرض دراستها من أجل الوقوف على البعد الوطني وتجلياته في رواية "محمد مرتاض " "وأخيراً تتلألأ الشمس" ،للكشف عن كل ما يتعلق بهذا البعد من موضوعات ،وقضايا متعددة ومتنوعةّ.

الـفـصل الأول
الـروايـة الـجزائـريـة والـبـعـد الـوطـنـي

المبحث الأول : تطور الرواية الجزائرية وموضوعاتها.

1) نشأة الرواية الجزائرية.

لقد استوعبت الرواية الجزائرية مشكلات المجتمع الشائكة وقامت برسم ملامح ومعالم المشهد الجزائري بكل أبعاده ، كما حوت طموح الإنسان الجزائري وآماله وآلامه وصورت أيضا الأحداث والوقائع والتغيرات على مختلف الأصعدة وبهذا الصنيع رافقها من ظهور الفن الروائي في الجزائر سواء المكتوب بالعربية أو بالفرنسية .

وقبل الولوج في صلب الموضوع ،لا بد من إلقاء نظرة على الحياة التي كانت تعيشها الجزائر تحت وطأة الاحتلال بكل جوانبها ، بغية الكشف عن تأثيرات هذه الظروف التي مرت بها الجزائر على الأدب الجزائري ،وكيف أن التجربة الوطنية أثرت في التجربة الأدبية ، والرواية بالخصوص.

شهدت الحياة الجزائرية في فترة الاحتلال العنف والاضطراب ، فكانت فترة عصيبة مظلمة بالنسبة للجزائريين. [1]

(*1*) ينظر ، فنون النثر الأدبي في الجزائر ، (*1931-1954*). عبد الملك مرتاض ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،د ط ،*1983*،ص*10*.

هذا وقد عمّ هذا القلق والاضطراب والعنف جميع مناحي الحياة سواء الاجتماعية، أو السياسية، أو الثقافية ،أو الاقتصادية، فساد الفقر، والجوع والجهل ،والاستغلال.

بالإضافة إلى الخسائر والأضرار التي سببها الاحتلال على المستوى الإنساني ، وبالرغم من أن "الجزائريين كانوا ضحية أشكال أخرى من الظلم ، إلا أن الإذلال كان أعظمها إيذاء ومرارة"[2]،فالاستعمار لا يبالي بالجوانب الإنسانية.

أدرك الشعب الجزائري أن هذه المأساة لا تنتهي إلا بالثورة التي تقضي على المحتل ، من أجل أن يسود الأمن والأمان ،والكرامة والعزة.

وعانت الأوقاف الإسلامية كالمساجد والمؤسسات الدينية من سيطرة الاستدمار والتبعية للمسيحية ، كما دمرتها ، وأبقت على بعضها للمسلمين و تدخلت في تعيين الأئمة والمفتين أما الزوايا فقد قامت بنشر الدين والثقافة وأنجبت علماء أكفاء والآن هذه الزوايا تعمل على نشر العلم ، وإصلاح المجتمع ، و استهدف الاحتلال. [1]

وقد استمرت الجزائر في ردع سياسة التجهيل التي اتبعتها فرنسا ، بحيث دافع الأمير عبد القادر عن الثقافة الإسلامية والعربية للجزائر ،فلقد

---

(2) تطور الأدب القصصي الجزائري (*1925-1967*). عايدة أديب بامية ،تر : محمد صقر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،د ط ،د ت ،ص*31* .

(*1*) ينظر ،تاريخ الأدب الجزائري .محمد الطمار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، د ط ،*1981*،ص*323* .

كان هذا الرجل عالماً مشاركاً ومن شأن العالم أن يعمل على نشر العلم وبث أصناف المعرفة بين الناس ، فكان الأمير عبد القادر يدور حول محور العلم والدين ويسجل العلماء ويكرمهم فيجزل لهم العطاء وأعفى طلبة العلم من الانخراط في سلك الجندية ليتفرغوا لطلب العلم وأعفاهم من كل مطالب الدولة ووجباتها ".[2]

يتضح من خلال سيطرة الاحتلال الفرنسي على شؤون الحياة الجزائرية أنه يريد أن يشل ويشوه مقومات الشعب الجزائري ، وخصوصياته ومكوناته .

هذا من ناحية أما من ناحية أخرى ، فقد حملت المؤسسات الإسلامية لواء الدفاع عن الثقافة الإسلامية العربية ، وذلك بتواصل الأدوار التي كانت تؤديها وما تزال الكتاتيب والزوايا والمساجد استمراراً للزحف الحضاري الضارب في أعماق الأصالة المتجذرة.

وظلت المساجد والزوايا والكتاتيب تقوم بدورها في نشر العلم وتعليم الثقافة العربية الإسلامية التي عمل الاستدمار الفرنسي على القضاء عليها ونشر الجهل والفقر بغية محو العنصر الإسلامي. [1]

فالمقصود من الخطط الفرنسية هو "فرض الجهل وطمس اللغة العربية وثقافتها وإحلال اللغة الفرنسية وثقافتها محلها".[2]

---

(2) تاريخ الجزائر العام .عبد الرحمن محمد الجيلالي ،دار الثقافة ، لبنان ،ط 1 ،1400هـ -1980، ج4 ،ص244 .
(1) ينظر تاريخ الأدب الجزائري .ص326 .

أما فيما يخص وضع اللغة العربية فكانت في المرحلة الثانوية اختيارية ،وقد قامت جمعية علماء المسلمين بإنشاء مدارس لتعليم اللغة العربية ، وتخريج نخب من مدارس عربية إسلامية .

وهذه الجمعية هي نفسها من أنشأها معهد عبد الحميد بن باديس الذي يرسل الطلبة إلى تونس والمشرق. [3]

وليس هذا فقط ، فأهداف الجمعية كثيرة منها – إلى جانب ضرورة نشر اللغة العربية وتعليمها – إصلاح الزوايا القديمة وبناء المساجد وتأسيس الأندية والجمعيات وإصدار الصحف والمجلات .

وسارت أعمالها ضمن أهداف بقي الإسلام محورها وبقي تحرير مؤسساته في طليعتها وكان من شعاراتها :"لا مسجد بلا تعليم ولا إسلام بلا تعليم". [4]

لقد عملت الجمعية على نشر الوعي الإسلامي والعربي والوطني ، ولم تكترث بعائق الاستدمار الفرنسي ، إذ حققت – رغم ذلك – نجاحاً ،واتسمت أهدافها بالنجاعة ، وأثمرت خططها في الحياة الجزائرية هذا ولابد من التعريج على ذكر المراكز الثقافية في الجزائر قبل الثورة والتي تواجدت في تلمسان ،الجزائر،قسنطينة ، وقد "ظلت مدينة تلمسان ردحاً من الدهر

(*2*) تاريخ الجزائر الثقافي (*1830-1954*).أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب للملايين ،بيروت ،ط*1*،*1998*، ج *7*، ص *7* .

(*3*) ينظر ، تاريخ الأدب الجزائري . ص *327* .

(*4*) الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير .نور سلمان ،دار العلم للملايين ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط *2*، *1983*،ص*53*.

مركزاً ثقافياً نشيطاً ولكن أزهى أيام تلمسان كانت قبل الحرب العالمية الثانية ، والذي كان يقود هذه الحركة محمد البشير الإبراهيمي وكان لا يني يلقي دروساً في شتى العلوم التقليدية التي كان يتقنها ويبدع فيها أيما إبداع ".[1]

كما للزوايا دور في نشر العلم وتعليم الخاصة والعامة ، وقد استمر نشاطها التعليمي فترة الاستقلال وما بعده .[2] ولما اندلعت حرب التحرير استمر الشعب في عطائه إذ "فجر ثورته المباركة فزلزل بركانها قلاع المعتدين ،فسارع الأدباء بالاستجابة لندائها".[3] ،كما حارب المجاهد إلى جانب الأديب بالسلاح وسجل هؤلاء الأدباء الملاحم الثورية الوطنية في إبداعاتهم وروائعهم ، كما غذوا بأقلامهم وكتاباتهم الثورة التحريرية المباركة.

في هذه الفترة ،تظافرت جهود الأدباء لتطوير الحياة الأدبية، بما في ذلك الشعراء والكتاب ،فالشعراء واصلوا أدوارهم في ترقية الشعر، والكتّاب اهتموا بازدهار فني القصة القصيرة والرواية ،وساعدهم على ذلك التشبع بالتراث والإفادة من التجربة الأدبية العربية والأجنبية، ومن هؤلاء الأدباء:

صالح خرفي، حنفي بن عيسى، مولود قاسم، عبد الحميد بن هدوقة، وعبد الحميد مهري، أبو العيد دودو، أحمد شقار، الثعالبي، الطاهر

(*1*) نهضة الأدب المعاصر في الجزائر(*1925-1954*). عبد الملك مرتاض. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،ط*2* ، *1983*،ص*53* .

(*2*) ينظر ،في الأدب الجزائري الحديث(النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر مؤثراتها بدايتها مراحلها).محمد بن سمينة ،مطبعة الكاهن ،الجزائر ، د ط ، *2003*،ص *36* .

(*3*) المرجع نفسه ، ص*94-95* .

وطار،عثمان سعدي،محمد عبد القادر السائحي،عبد الله ركيبي، أبو القاسم خمار ،صالح خباشة ، عبد الرحمان زناقي [4] ،فجهود هؤلاء الأدباء كانت واضحة في الساحة الأدبية الجزائرية.

ودعت الجمعية –أيضاً– إلى النهوض بالإنسان الجزائري من الناحية الفكرية والعقلية والروحية والدينية فإن كان الإنسان متمسكا بالدين والعلم ، والضمير الروحي والوطني ، كان ذلك قوة له في مواجهة السيطرة والاستبداد.[1]

كانت الجمعية منقذاً للشعب الجزائري مما سببه الاحتلال من تدهور فكري وديني وثقافي وأضحت بجهودها نبراساً للعلم والدين، والنهضة الثقافية والفكرية.

هذا فيما يتعلق بالظروف التي فرضها الاستعمار على الإنسان الجزائري، في ظل السياسية الاستدمارية التي كان يمارسها وينتهجها المحتل، لكن كيف كان حال الرواية الجزائرية في ظل هذه المعطيات؟

وبعد أن تحررت الجزائر ونالت استقلالها وحققت النصر والحرية ،عرفت البلاد أحداثاً صعبة ومأساوية قادتها إلى مزالق ومشاكل خطيرة ومعقدة.

(*4*)ينظر ،في الأدب الجزائري الحديث .محمد بن سمينة ، ص *95* .

(*1*) ينظر ، الإتجاه الثوري في الحرية الوطنية الجزائرية (بين الحربين العالميتين *1919-1939*) ،يوسف مناصرية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،د ط ،*1988* ، ص *32* .

وفي هذا الشأن أورد "أبو القاسم سعد الله"رأيه في كتابه "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر" عن الفترة من (62 إلى 1965) يقول في هذا السياق :"ويمكن القول أيضاً أن المرحلة 62 إلى 65 كانت تمثل المرحلة الرومانتيكية للثورة ،إنها تميزت بالعاطفة والخطابية والحماس الشديد،والتطلعات، أي امتداد الحلم القديم" [2].

ثم يضيف الكاتب قائلاً عن الانعطافة التي أحدثت الدم والدمار أن انطلاقتها كانت قبل 1988 حيث "خرجت الأمور عن المعقول وعن القانون ،حدثت الأحداث التي تجاوزتها توقعات المتوقعين،حتى وصلت الحدود اللامعقولة، وكانت إنذاراً للمدمنين على غيرهم وطغيانهم،وإرهاصاً بعهد جديد مازلنا لن نستشف آفاقه"[3]فالأحداث الخطيرة لها وقعها في تغيير الواقع السياسي إلى واقع مجهول النهاية.

بداية ، لابد من القول أن الرواية الجزائرية عكست هاته المعطيات والمستجدات ،وكتب العديد من الروائيين في قضايا الوطن، أما انطلاقة الحديث عن الرواية الجزائرية ونشأتها تكون مما كتب "عبد الحميد الشافعي"بعنوان " الطالب المنكوب".

(2)أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر . أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ، 2005 ،ص15 .

(3) المرجع نفسه . ص18.

لكن الباحث يقول أنه وقف على رواية سابقة للرواية المذكورة وهي بعنوان " حكاية العشاق في الحب والاشتياق"" لمحمد إبراهيم سعد الله"، مخطوطة في المكتبة الوطنية بالعاصمة فحققها وطبعها .[1]

أما أول رواية فنية جزائرية مكتوبة باللغة العربية فقد ظهرت سنة 1970 "لعبد الحميد هدوقة" بعنوان" ريح الجنوب"[2] وفي إحصاء لعدد الروايات وجد "أحمد دوغان" أن عدد الروايات المكتوبة بالعربية قد بلغ خمساً وأربعين رواية حتى عام 1984.[3]

لقد تنوعت و تعددت المواضيع التي ألف فيها كتاب الجزائر وتطرقوا لها وعالجوها .

وفي هذا السياق لا بد من ذكر "أحمد رضا حوحو" وروايته"غادة أم القرى"، التي يعلق عليها أبو القاسم سعد الله قائلاً أن : "حوحو لم يستطع أن يطلق عليها اسم أسرة جزائرية خوفاً من سلطة المجتمع". [4]فهذه الرواية تصور حياة الأسرة الجزائرية ، وخصوصاً وضع المرأة[5] ،"فأحمد رضا حوحو" صور حياة المرأة الجزائرية ووضعها من خلال تصوير الأسرة الجزائرية.

(*1*) ينظر ، في الأدب الجزائري الحديث (دراسة).أحمد دوغان ، اتحاد الكتاب العرب ، د ط ، *1995*،ص*85*.
(*2*) ينظر ، المرجع نفسه . الصفحة نفسها .
(*3*) ينظر ، المرجع نفسه .ص *85*،*86* .
(*4*) دراسات في الأدب الجزائري الحديث .أبو القاسم سعد الله ، الدار التونسية للنشر – المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري ، تونس ،ط*3* ،*1985* ، ص*58*.
(*5*) ينظر ، تطور الأدب القصصي الجزائري (*1925- 1967*) .عايدة أديب بامية ، تر: محمد صقر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط ، دت، ص*137*.

الـفـصل الأول
الـروايـة الـجزائـريـة والـبـعـد الـوطـنـي

استمرّ العطاء الفكري والأدبي عند "حوحو"بنفس متواصل [1]، حفزّه في ذلك شعوره بواجبه ورسالته نحو الوطن ، وهكذا كانت أحوال كتاب الجزائر ، يكتبون من أجل الجزائر ، ويحملون هم الوطن .

وقد كان "أحمد رضا حوحو" من هؤلاء الأدباء الذين ظل يعتز بهم أدبنا اعتزازاً شديداً [2] .فقد ظل يكتب عن الشعب، ويصور معاناته التي يعيشها في ظل سيطرة الاحتلال وظلمه، ومحاولة طمس الشخصية الجزائرية بكل معالمها ومقوماتها الإسلامية والعربية، والروحية والوطنية .

أما الفن الروائي من وقائع وأحداث مواكبة للتحولات والمستجدات ،صنع مادة الرواية الخام وهي مادة حية صورت الحياة الجزائرية بمختلف أوجهها، وهذا الأمر رافق الإنتاج الروائي منذ ظهوره.

أما الرواية الفنية الجزائرية العربية كانت بدايتها مع "ريح الجنوب"، اتسمت هذه الرواية بالبعد الفني، الذي يدلل على نضج الرواية الجزائرية، وتفتق الوعي الفني فيها، وهذا ما ذهب إليه"عبد المالك مرتاض" في كتابه "نهضة الأدب العربي في الجزائر"، إذ عالجت هذه الرواية قضية الأرض في عهد الاستقلال، ورصدت ردود الفعل حول الإصلاح الزراعي [3] ، كما تطرقت لعلاقة الإنسان الجزائري بأرضه، وعرضت لقضية المرأة الجزائرية

(*1*) أحمد رضا حوحو ، (*1934- 1935*). صالح خرفي ، دار الغرب الإسلامي ،لبنان ، ط*1* ، *1992*، ص*07*.
(*2*)ينظر، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (*1925- 1954*) .عبد الملك مرتاض ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، ط*2* ،*1983*، ص*155*.
(*3*)ينظر ، نهضة الأدب العربي في الجزائر .عبد الملك مرتاض ، ص *155*.

ووضعها، أما القضية الأساسية عند عبد الحميد بن هدوقة فهي قضية الأرض، ثم المرأة، وتعتبر "ريح الجنوب"أول محاولة جادة بالعربية تكتسي أهمية بوصفها البداية الأولى للفن الروائي في الجزائر.[4] ،فهذا الفن الروائي في الجزائر انطلق من هذه المحاولة الفنية الجادة التي تؤسس له.

و هاته الرواية تعبير جمالي لواقع معقد تعتريه معايير متداخلة ، والقصد من هذا التعبير الكشف عن عدة جوانب من هذا الواقع [1] ، بكل معطياته وظروفه – مما يحفز الكاتب على الاهتمام بعرضه وتناوله ، والتطرق إليه.

وبذلك تتعدد الرؤى ،ووجهات النظر والموضوعات وبالتالي نجد تنوعاً من هذه الناحية.

وسأتطرق بعد ما تقدم إلى الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية لأتناول بعض أعلامها من ضمنهم "محمد ديب" " مولود فرعون" "مولود معمري" "مالك حداد" "كاتب ياسين" وغيرهم.

أما صورة الجزائر وما يعيشه المجتمع فتراه عميق الأبعاد في ثلاثية "محمد ديب" الشهيرة :" البيت الكبير و"الحريق"ومهنة النسيج" "التي تخط لنا مسيرة نشأة وتوحيد وتعمق الوعي القومي لدى الشعب الجزائري".[2]

(*4*)ينظر دراسات في الرواية الجزائرية .مصطفى فاسي،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،دط ،*2000*،ص*07*.

(*1*) ينظر، الشخصية في الرواية الجزائرية (*1970-1983*) .بشير بويجرة محمد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،دط ،دت،ص*12*.

(*2*)الأدب الجزائري المعاصر ،سعاد محمد خضر ، المكتبة العصرية ،بيروت ،د ط، د ت، ص*146*.

رسم محمد ديب في رواياته قدرة الإنسان الجزائري على صنع الثورة والتبشير بها، وزرع بذورها ،فالإنسان الجزائري يأنف الذل والهوان، ويأبى الإذلال والاستغلال.

شخصية الجزائري مشحونة بالأنفة التي تكبح زمام السيطرة الاستعمارية المستبدة ،هذا الإنسان تركيبة من الموروث الإسلامي، العربي، والتاريخي، يمتلئ بالعطش إلى الحرية، ويحم بتعاليم التحرر، ويحن إلى الاستقلال، يعتز بهويته وانتمائه الحضاري،" وليس مخلوقا آنياً يصنع فوراً دون هوية ثقافية، أو تشكيل اجتماعي أو أحلام مرحلة عمرية أو قسوة فترة زمنية، بل هو مجموعة متشابكة من الأهواء والميول، والنزاعات والرغائب، والأفكار، والأحلام، والرؤى، والتاريخ والموروثات".[1] فالشعب الجزائري كان يتطلع إلى الحرية ، و الاستقلال، و يحلم بالخلاص من قيود الهيمنة و فظائع الاحتلال.

في بيته الكبير صوّر الكاتب "بؤس الطفولة الجزائرية والحياة المعدمة التي تعيشها الطبقات الكادحة، وكذلك معمري و فرعون قد حتمت عليهما نشأتهما أن يقفا موقفاً حازماً إلى جانب جماهير الفلاحين المعمدة المظلومة، وقد حاول محمد ديب منذ أول قصة كتبها أن يضع أدبه في خدمة إخوانه المظلومين ".[2]

(1) إشكالية الإنسان والحرية في رواية السقوط الحر ليوليم جولدنج ".حسن عليان، مجلة الآداب ،جامعة منتوري ،العدد 06، 1423 هـ،2003م ،ص269.
(2) الأدب الجزائري المعاصر .سعاد محمد حضر ، ص149-151.

تحكي ثلاثية "محمد ديب" حياة الشعب الجزائري في فترة الاحتلال واستعداده النفسي للثورة ، وتعرض الثلاثية نماذج للحياة الجزائرية، المليئة بالمعاناة من جرائم المحتل الذي يفرض على الشعب الفقر والجوع والتشرد والجهل ،هذا من جهة ' أما من جهة أخرى فالثلاثية تصور هذا المجتمع الواعي بالواقع، والذي يفكر في الخلاص من المحنة والاحتلال .

وطريقة المؤلف في عرض تلك الصورة تدفع "بالقارئ أن يحب هذا الشعب ، وأن يشعر بمأساته، ونظرته الثقافية تتغلغل في أعماق نفوس أولئك البسطاء لتحكي لنا قصة ولادة الوعي الطبقي والشعور بمأساة الحياة ... ففي البيت تأتي الشرطة لتحقق مع أحد المجاهدين ... ثم الحرب في فرنسا ، وأول اجتماع سياسي يعقده الفلاحون، ثم إضرابهم وانتقام الأسياد "[3].

أما رواية الحريق فتحدد وتعمق "أبعاد تلك الثورة التي نرى بوادر ولادتها في البيت، تلك التي ستظل تشتعل ولن تنطفئ أبداً ثم الجزء الثالث من الثلاثية حيث يترك جموع الجياع من أعماق المدينة ، بداية تغيير الأشياء يشعر بها القارئ في ثلاثية ديب".[4] ،وبالتالي فأبعاد الثورة شملت كل شيء.

(3) المرجع نفسه .ص151، 152 .
(4) المرجع نفسه .الصفحة نفسها.

وأحداث الثلاثية تدور حول أحداث حياة "شاب هو عمر وخلال تطور وجهة نظر ذلك الشاب ووعيه أمام كل ما يحدث له ولمحيطه نرى تطور الوعي لدى الجماهير ، وأبطال القصة الآخرون إنما يعطون صورة لمجتمع القرية والمدينة فهم الأرض أو الفلاحون"[1] .فسكان البيت اختارهم المؤلف ليكونوا عينة لشعب الجزائر في تفكيره وانطلاقته الثورية، ووضعه لحجر الأساس في طريق التحرر .

فالبطل الرئيسي "عمر" قد بدأ" يفهم وتدور في نفسه ثورة على هذه الأوضاع والآخر حميد سراج الذي عرف طريق الخلاص الوحيد لهذا الوضع وهو أن يعمل من أجل تغيير هذه الأوضاع، ثم أحاسيس الناس سكان البيت" الكبير، سكان الجزائر واعترافهم بأن هذا هو طريق الشرف ".[2]

وتتجلى علاقة الإنسان بالمكان في "الهضبة المنسية " "لمولود معمري" إذ هذه الهضبة تمثل و ترمز للوطن، ولأرض الجزائر .

فالهضبة هي صورة الجزائر التي "تتخيل في نفس كل جزائري بعيد عن وطنه ذلك المكان العزيز في القلب والنفس، وهو... صورة موفقة اختارها الكاتب ليصف مدى تعلق الجزائري بوطنه إلى جانب عرضه لبعض العادات العريقة التي تميز المجتمع الجزائري المحافظ"[3] .أما رواية" مولود

(1) الأدب الجزائري المعاصر. سعاد محمد خضر ،ص152.
(2) المرجع نفسه .ص106.
(3) المرجع نفسه .ص173 ،174 .

فرعون" "إغفاءة العادل" تصف موقف فرنسا الحقيقي من الجزائريين ، فتتكشف أمام الجزائريين حقيقة أوهامهم، إذ تزعزع "تلك الثقة الواهمة في حضارتها و مثلها ومغزى تلك الحرية التي تتكرر على أسماع الشبيبة في معاهدها وجامعاتها ".[4]ومن هنا يمكن القول أن علاقة الإنسان بالمكان أمر ضروري في الرواية.

أما "رواية الأفيون و العصا" فهي تعرض لنا التجربة التي مرت بها جزائر جبهة التحرير و المأساة التي عانى منها الوطن.[1]

وتبين الرواية المكتوبة بالفرنسية أنها اتخذت من التحرر مواضيع للكتابة مثلها مثل الرواية العربية الجزائرية ، بالإضافة إلى تعرضها إلى المواضيع الاجتماعية التي عانى منها الشعب بالإضافة إلى التفكير في الثورة .

أما "مولود فرعون "فقد أعطى صورة عن حياتنا الصعبة وظروفه المادية في رواية "ابن الفقير" " 1950" التي تروي فيها حياة "فرعون" بحذافيرها بدون زيادة أو نقصان ،ومن هنا ذلك الصدق في نقل العواطف ومختلف أحاسيس الإنسان أمام ما يلاقيه في المحيط الذي يعيش فيه. [2]

(4) المرجع نفسه.ص175 .
(1) ينظر ،الأدب الجزائري المعاصر .سعاد محمد خضر ،ص 178 .
(2) ينظر ،المرجع نفسه .ص186 .

أما في رواية" الطرق الصاعدة " "1957" فيوجد نموذج "البطل الذي قدمه فرعون في قصته الأولى ابن الفقير".[3]

أما "مالك حداد" فكان يكتب قصة كل عام ، كتب "الإحساس الاخير' '1958" "أقدم لك غزالا" '1959" و'الطالب والدرس' "1960 ،'رصيف الأزهار لا يجيب' '1961 '.[4]

يبدو أن هذا الأدب المكتوب بالفرنسية يحمل روحا جزائرية ،لأنه يعالج مواضيع تتعلق بالقضية الوطنية ، و بالمجتمع الجزائري من فقر وجهل و جوع و استغلال .

ويعود تاريخ رواية 'مولود فرعون' 'الدروب الوعرة' إلى الخمسينات وهذه الفترة بمثابة سنوات اليقظة بالنسبة للجزائريين ، أي بداية الثورة و نهاية صدام الحضارات و تعتبر الرواية بمثابة بوتقة تذوب فيها خيبة أمل الإنسان و سخطه و عدم رضاه .[1]

أما رواية "نجل الفقير" فتحكي قصة طفل يدعى "منراد فورولو"، مع أسرتة التي هي نموذج للحياة الجزائرية بكل ظروفها، وكيف تحدى هذا الطفل الصعوبات والأزمات من اجل الدراسة، التي كانت مطلبا عسيرا

(*3*) المرجع نفسه.ص*189* .
(*4*) ينظر،المرجع نفسه.ص*202*.
(*1*) ينظر ،تطور الأدب القصصي الجزائري .عايدة أديب بامية ،ص *73*

،وصعبة النوال، فالرواية تحكي قصة الصراع في حياة الجزائريين في ظل الفقر والاحتلال والظروف الصعبة .

وقد جاء في الرواية عن البطل وقد ذهب للدراسة :"كان فورولو لشدة انهماكه في دروسه يجهل المأساة التي تتخبط فيها أسرته كان يدرك وهو في السادسة عشر من عمره أنه يراهن بمستقبله على نظريات هندسة ومعادلات جبرية".[2]

استمدت هذه الرواية وقائعها من حياة المؤلف، إذ تعرض فيها لوالده، ذلك الفلاح الفقير الذي لم يكن يختلف عن كثير من "الجزائريين في الاحتياج حتى أنه اضطر للاغتراب إلى فرنسا من أجل تأمين قوت عياله "[3].

هذه الرواية تعكس فترة التهيئة النفسية للحرب وتعرض ظروف الجزائريين التي زرعت بذور الثورة ، وبشرت بقيامها، هاته الظروف التي عانت منها الجزائر في ظل الاحتلال من فقر وجهل واستغلال دفعت الشعب إلى القيام بالثورة.

أما موضوع روايات "مالك حداد" فقد دارت حول حرب الاستقلال ، بالإضافة إلى هذا فإن "شخصية الكاتب، والثورة ،تشكلان محور كتابات

(2) .نجل الفقير .مولود فرعون ، تر :محمد عجينة ، المؤسسة الجزائرية للطباعة ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،دط ،1987،ص151.

(3) مولود فرعون (حياته وأعماله).يوسف نسيب ، تر:حنفي بن عيسى ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،دط، 1991 ،ص06 .

حداد ، وحب الوطن يقوم بمثابة رباط الحياة الذي يربط كافة الحوادث مع بعضـها البعض". [1]

وبالتالي فالوطن كان محور الكتابات الروائية الأساسي، إذ دارت حوله الأحداث والمجريات ، إلى جانب هذا فالثورة كذلك من الموضوعات التي تطرق لها الكاتب الجزائري عموماً ولم يغفل عنها سواء الذي يكتب بالعربية أو بالفرنسية .

(1) تطور الأدب القصصي الجزائري .ص75 .

الفصل الأول
الرواية الجزائرية والبعد الوطني

2) تطـــور الرواية الجزائرية :

لقد عرفت الرواية الجزائرية تحولات عدة ، وتطورات وتأثيرات بأحداث البلاد وأثرت فيها وعكستها ، وظهر ذلك فيما صورته الإبداعات الروائية على مر المراحل التاريخية ووقائعها ومستجداتها ويكون الحديث في ذلك بداية من الثورة والحرب التحريرية .

هذه البدايات الروائية كانت إرهاصات تمهيدية ومقدمة لانطلاق المسيرة التي اكتملت في شكلها الفني مع"عبد الحميد بن هدوقة" في "ريح الجنوب"، هذا من جهة أما من جهة أخرى ، فلا بد من الإشارة إلى أن قيام حرب التحرير في أول نوفمبر 1954 من أهم العوامل التي عملت على تطوير الأدب الجزائري المعاصر سواء من الناحية الشكلية أو الموضوعية [1].

وإضافة إلى ذلك فقد شغلت الثورة منذ اندلاعها عام 1954 أقلام المبدعين والأدباء كثيراً ،كما أنها أسالت حبراً لكثير من أعلام ومثقفي المنتصف الثاني من القرن العشرين .

(1)ينظر ، البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة (*1974- 1985* – دراسة).شريبط أحمد شريبط ، اتحاد الكتاب العرب ،د ط ، *1998*،ص*110* .

ويرجع ذلك –في نظري– إلى القضايا السامية التي تبنتها منذ اندلاعها وانطلاقها ، وكذلك إلى منهجها العميق وخططها الاستراتيجية ، وأبعادها الوطنية والقومية والإنسانية.[2]

وقد عاش الأدب الجزائري الثورة المسلحة ضد الاستعمار والتزم بقضايا الوطن ،وهذا ما تجلى في سائر الفنون الأدبية ومنها الرواية التي استطاعت أن تبلور معالم الواقع الثوري من خلال الثورة المسلحة وبُعدها ،وهذا ما شكل مادة ثرية استطاع الروائي أن يكتب ويبدع فيها.[1]

هذا ، وقد واكبت الثورة الجزائرية تحولات الجزائر وتطوراتها وتغيرات الواقع الذي أسفر عن أحداث متنوعة ومستجدات مختلفة ،هذا الواقع عبرت عنه الرواية الجزائرية ، وجعلت منه مواضيع للكتابة الروائية في الجزائر.

ومما تصوره هذه الرواية أزمة تغير المجتمع وعلاقته مع السلطة ، وفي هذا السياق ظهرت مجموعة من الروايات منها "ضمير الغائب والشاهد الأخير على اغتيال مدن البحر" لواسيني الأعرج ، وتجربة في العشق "للطاهر وطار" وزمن النمرود "للحبيب السائح".[2]

لقد عكست الرواية الجزائرية الواقع بمختلف صوره ومعطياته، وتعدد أشكاله فالشكل الواقعي للرواية يستمد من الواقع الاجتماعي، قبل أن يكون

---

(2) ينظر ، مباحث في الأدب الجزائري المعاصر . شريبط احمد شريبط ، إتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر ،ط1، 2001،ص180 .

(1) ينظر ، في الأدب الجزائري الحديث .أحمد دوغان ، ص86 .

(2) ينظر ، " مراجع الكتابة الروائية في المغرب العربي " .بوشوشة بن جمعة ،مجلة الآداب ،قسنطينة ، العدد 02، 1416هـ -1995 ،ص189.

واقعاً روائياً، يقول "ميشال زرافا" Michel Zérafa ":"إن الشكل الذي تجسده الرواية، موجود في الواقع قبل وجوده في الرواية ،لكن الكتابة هي التي تشكله". (3)

وهناك من يرى أن دلالة العمل الأدبي لا توجد إلا في هذا العمل، ولا تدل على شيء آخر غير ذلك، ولا ترتبط بالواقع مطلقاً، وليست لها علاقة به، ونجد ذلك عند"تودوروف"" Todorov " إذ يقول:" بتحليلنا للمظهر الأدبي للنص، لا نكف عن مساءلة دلالة عناصر الحكاية، ولكن هذه الدلالة لا توجد إلا على مستوى الكتابة وليست في المرجع".(4)

ويؤكد هذه النظرة "رولان بارت" بحيث تنتفي أي علاق بين النص الأدبي والواقع، وبذلك لا يمكن أن تكون هناك دلالة واقعية للعمل الأدبي، وذلك ما يتضح في قول"رولان بارت" "Roland Barthes " :" يبدو اليوم أكثر فائدة التركيز على مسألة كل عمل أدبي على انفراد ،واعتباره عالماً وحيداً معزولاً، أي كشيء لا يجسد علاقة بين الموضوع والتاريخ،واعتبار العمل الأدبي مكتملاً غير قابل للتصنيف".(1)

وتواتر ظهور الروايات الواقعية على مدى الثمانيات والتسعينيات ،التي تصور الأزمات الاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية ، هذا دون إغفال الضغوط الداخلية والخارجية ، ومن أمثلة ذلك "ضمير الغائب"

(3) *Roman et société .Michel Zérafa ,presses universitaires de France ,2 e édition , 1972 , p :57.*
(4) Léttérature et signification .Tzevétan Todorov, Larousse, paris, 1967 ,p 69.
(1) Essais critique .Roland Barthes, éditions du seuil, paris, 1964 ,p :165.

"الشاهد الأخير على اغتيال مدن البحر "1990"لواسيني الأعرج " ، و"النخر " لإبراهيم سعدي .[2]

وهذه النصوص بقدر ما تستلهم "موضوعاتها من الواقع، فإنها تعمد في خطابها الروائي إلى الرمز ،حيث تتكشف الدلالة ويكون الإيحاء أكثر من الإعلان والإبطال أكثر من الإبانة فيتزاوج الواقعي والمتخيل إلى حد التدخل".[3]

وتلجأ هذه الروايات إلى استعمال الرموز ، من أجل وصف الواقع ،أو نقده ،أو كشفه ،خوفاً من المضايقات السياسية ،أو رهبة من السلطة السياسية ؛ فمثلاً رواية "زمن النمرود" "للحبيب السايح"عند صدورها أثارت ضجة سياسية وإعلامية لأنها عبرت عن الواقع ،وأزماته ومشاكله ،سواء كان هذا الواقع سياسة أو غيره.

أما على المستوى الفني فقد شهد هذا اللون الأدبي تحولاً على مستوى اللغة ، إذ كانت فترة الثمانيات فترة وعي فني ،إذ أدرك الكتاب أن اللغة ليست فقط

(2) ينظر ، 'مراجع الكتابة الروائية في المغرب العربي ' . بو شوشة بن جمعة ، مجلة الآداب، قسنطينة،العدد 2 ،1416 ه -1995 ،ص190 ، 191 .
(3) المرجع نفسه . ص191 .

للإبلاغ فقط ، وإنما للإبداع أيضاً ، وهذه النزعة في التعامل مع النصوص الروائية اهتمت بشعرية اللغة الروائية ، فالرواية جنس تتلاقى فيه اللغات،لذا هناك إبداعات روائية تهتم بالإبطان أكثر من الإبانة ،ويتفصح الخطاب الروائي ،فكان وسيلة التعبير الشعرية ،التي اختلطت بالسردية ، ومن أمثلة ما كتبه في روايته "مصرع أحلام مريم الوديعة."[1]

ولعل المطالع للأدب الجزائري يلاحظ فيه "خاصية الثورة بوصفها هاجساً أساسياً يحرك عملية الكتابة ،أو هي تتحرك فيه ، والواقع أن هذه الظاهرة لا تدعو إلى الغرابة ما دامت الجزائر حديثة عهد بحرب التحرير ،وما دام طابع عصرنا كله طابعا تحريرياً ".[2]

ومن أمثلة الكتابات التي تعطي صورة واحدة مشتركة للثورة "المؤامرة " "لمحمد مصايف" و"البزاة" لمرزاق بقطاش" و "هموم زمان الفلاقي" "لمحمد مفلاح".[3]

فموضوع الثورة يدعو –فعلا–الكتاب إلى الإبداع ،لأنهم يجدون في هذا الموضوع مجالاً للصدق ، مجالاً للفخر ، مجالاً للاعتزاز والأنفة ، فالثورة تجعل كل المعادلات قابلة للحل ،إذ تجعل من الوعي الوطني

(*1*) ينظر ، "مرجع الكتابة الروائية في المغرب العربي ".بوشوشة بن جمعة ،ص *197* ، *198* ،*199* .
(*2*) الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية). مخلوف عامر ،إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، *2000*، ص*17* .
(*3*) ينظر ، المرجع نفسه .ص *18* .

والثوري يحتوي الوعي الفني،وصحيح عكس ذلك ،إذ يتلاشى الفن في الثورة ، ويغنم الوطن وحده ويفوز كما فاز ذات مرة.

ويعمد الكاتب في نصه إلى رسم صورة معاناة المواطن من جرائم الاحتلال من قمع ،وتشرد،وجوع ، واستغلال،والمقصود من هذا التصوير هو خلق البديل ،الذي هو الثورة ،والتي تمثل المخرج الوحيد الذي ينتظر كل مواطن.[4]

ومن الروايات التي تميزت بمسحتها الوطنية رواية "البزاة" "لمرزاق بقطاش "التي يدور موضوعها حول عالم الطفل ووعيه بالثورة وضرورة المقاومة .[1]

بنيت هذه الرواية انطلاقاً "من تصوير الواقع المأسوي الذي يعيشه الإنسان الجزائري تحت وطأة السيطرة الاستعمارية الجوع ،الفقر والاستغلال ، الإهانة التعذيب التشرد... وعندما يعمد الكاتب إلى هذا التصوير بالذات فهو في الواقع يبحث عن مخرج مناسب ،يبحث عن مبرر معقول ومقبول لما سيقوم به مستقبلاً."[2]

وهذه الرواية كسائر الروايات الجزائرية عالجت موضوع الثورة ،والوطن،والكفاح والمقاومة والجهاد ،لكن هذه الرواية تناولت الوعي الثوري

(*4*) ينظر، الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية).ص*18* ،*19*.
(*1*) ينظر، الرواية والتحولات في الجزائر.ص*20* .
(*2*) المرجع نفسه .ص *30*.

أو الوطني عند الطفل ، وهذا يعني أن الرواية الجزائرية عكست وعي الشعب الجزائري بمختلف شرائحه .

وقد برز في فترة السبعينيات في الخطاب الابدعي ،البعد الاجتماعي،إلى درجة "أن الخطاب الرسمي –وهو الخطاب الاشتراكي يومئذ–قد انعكس بطريقة آلية في كثير من الأعمال ".[3]

أما في منتصف الثمانيات فقد برزت الرواية الواقعية التي تعالج معطيات الواقع وإشكالاته ، هذه الروايات ذات وظيفة نقدية سياسية، فتناولت مشكلة الديمقراطية ،وأزمة الفكر .[4]

وفي بداية التسعينيات ظهرت موجة جديدة في الروايات، فالرواية الجزائرية ،تحررت من أسر الرواية "الكلاسيكية لتعبر عن انسداد الواقع السياسي والاجتماعي"[5]،ومن هنا نلاحظ أن الرواية الجزائرية سايرت السياسة.

(3) -htt://www.aljazeera .net /NP/esceres/h1t 92Dee c71B-a dea-9E18-E649285C7 B CD.h T m

(4) ينظر ، htt://www.aljazeera .net /NP/esceres/h1t 92Dee c71B-a dea-9E18-E649285C7 B CD.h T m

(5) htt://www.aljazeera .net /NP/esceres/h1t 92Dee c71B-a dea-9E18-E649285C7 B CD

هذا بالنسبة للرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية، أما فيما يخص الرواية المكتوبة بالفرنسية فقد برز إلى الساحة 'كاتب ياسين' بمؤلفاته ،والتي يذكر منها "نجمة" ،هذا الرجل اللغز الذي قدم أعمالاً مختلفة ،ومتنوعة .[1]

أما "محمد ديب" فتشهد أعماله بمأساة المشهد الجزائري إبان فترة الاحتلال بكل ما في ذلك المشهد من معاناة الشعب .

ولد "محمد ديب " في تلمسان عام 1920 ،كتب "الرهان الكبير"1952، إطلاق النار 1954 ،وثلاثيته المشهورة التي اتسمت بالواقعية [2]، فالكاتب نقل الواقع الجزائري في رواياته بكل ما في ذلك الواقع من عذاب الشعب و قهره

ومعاناته .

(1) ينظر ، *L'œuvre en fragment ,Kateb Yacine édition sindibade ,paris,1986,p14*

(2) *Lecture présent de Mohammed Dib .Charles Bonn , entreprise nationale du livre ، ,Alger,1988,p11.* ينظر

3) موضوعات الرواية الجزائرية:

دارت أحداث الرواية الجزائرية وموضوعاتها حول عدة قضايا، وقد أخذت الثورة الجزائرية مساحة هائلة أو رصيداً كبيراً في الكتابة الجزائرية ،أسفر عن روايات بموضوعات ومعالجات مختلفة ومتنوعة.

ومن المواضيع التي تطرقت لها الرواية الجزائرية ما يأتي :

الثورة الجزائرية المسلحة، التطبيق الاشتراكي، الثورة الزراعية، الالتزام ونقد الواقع،الجالية الجزائرية وواقع المهجر، الهجرة من الريف إلى المدينة وقضايا أخرى.[1]

1-الثورة ودور الشباب المثقف النضالي :

وقد كتب في ذلك "عبد الملك مرتاض"رواية "نار ونور" ،تطرقت هذه الرواية إلى دور الطالب الجزائري، ومشاركته في القضية الوطنية .

2-الثورة والمقاومة الشعبية :

تناولت الرواية الجزائرية موضوع المقاومة ،والمقصود بها مقاومة جبهة التحرير الوطني، أو مقاومة الشعب ،وهذا ما يتضح في رواية "اللاز" 'للطاهر وطار' إذ يصف المؤلف اللاز و هو في مواجهة الأزمات [2]، ويدور موضوع هذه الرواية حول الجانب الإيديولوجي .

3-التطبيق الاشتراكي والثورة الزراعية :

(*1*) ينظر ، في الأدب الجزائري الحديث .أحمد دوغان ،ص*87*.
(*2*) ينظر ، اللاز .الطاهر وطار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط*3* ، دت،ص*16*.

تناولت رواية "ريح الجنوب" "لعبد الحميد بن هدوقة" قضية حساسة وهامة ،هي علاقة الإنسان بالأرض وقضية المرأة وتطرقت هذه الرواية إلى عمق المفهوم الإيديولوجي للثورة الزراعية وعنت جداً بمحاربة الإقطاع، ويقول في

روايته "ريح الجنوب " ،"وكان عابد ابن القاضي وابنه الصغير عبد القادر قرب الدار يساعدان رابحاً راعي الغنم في الخروج بها من الممر الضيق الذي يشق بعض بساتين القرية، وتنهد تنهداً حزيناً وهو يرى الغنم أمامه ذلك أن الإشاعات التي كانت بدأت تروج منذ صدور القرارات المتعلقة بالتسيير الذاتي، حول الإصلاح الزراعي قضت مضجعه وصارت منشأ همومه ومحل تفكيره الدائم"[1] .

ويقول أيضاً في روايته "نهاية الأمس ": "جاءته أوامر بنصب كمين لقافلة عسكرية من جيش الاحتلال تمر من الطريق التي تراقبه فرقته ".[2]

فروايته "ريح الجنوب" مسرحاً لتضارب الأفكار المختلفة وغير المتوافقة ،فكل شخصية في الرواية هي نموذج لأفكار موجودة في الواقع، أو نموذج لطبقة أو فئة معينة .

(1) ريح الجنوب .عبد الحميد بن هدوقة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط4،د ت ،ص7 .
(2) نهاية الأمس .عبد الحميد بن هدوقة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ،1978، 37.

وعلى هذا المنوال كانت خريطة أحداث "ريح الجنوب "تتشكل من صراع ينمو ومصالح تتضارب ،وشخصيات ذات هويات وأهداف متباينة [3].

ومالك في هذه الرواية هو ذلك "المجاهد الوطني المخلص لبلاده سابقا والمتفاني في حبها والإخلاص لها والتفكير في مصيرها باستمرار حالياً ،فإن ابن القاضي على العكس من ذلك تماماً ، فهو سابقا حركي".[4]

فهاتان الشخصيات متضاربتان من خلال تاريخهما وفكرهما، "فابن القاضي" له تاريخ مخزي ،لكونه حركي سابق عمل لصالح المستعمر.

وللكاتب عبد الحميد بن هدوقة دور كبير في تكوين الوعي الأدبي لجيل السبعينات ،فقد عبرت كتاباته عن هموم الإنسان الجزائري وعبرت أيضاً عن المعاناة القاسية لأهوال الحرب ، وحملت أيضا حلم هذا الإنسان بالحرية .[1]

(*3*) ينظر ، الشخصية في الرواية الجزائرية .(*1970-1983*) .بشير بويجرة محمد ،ص*14*.
(*4*) دراسات في الرواية . مصطفى فاسي ،دار القصبة للنشر ، الجزائر ، د ط، دت ، ص*8* .
(*1*) ينظر، "عبد الحميد بن هدوقة ،ذكرى مسيرة مثقف وطني وسيرورة وعي منفعل وفاعل" . عبد الحميد بورايو ، مجلة اللغة والأدب ،معهد اللغة العربية وآدابها ، جامعة الجزائر، عدد خاص عبد الحميد بن هدوقة ،دار الحكمة ، العدد*13* شعبان *1419* هـ -*13* ديسمبر *1998* م ، ص*214* .

فالكاتب له روايات عديدة تبين توجيهه الثوري والواعي بآلام الشعب والواقع المر، وهذا ما خلق لديه وعي، وذلك من خلال الإدراك العميق لعلاقة الإنسان بأرضه، وارتباطه الشديد والوثيق بها، ومدى تعلق هذا الإنسان بوطنه.

لقد مثّل أدب عبد الحميد بن هدوقة مصدراً قوياً ساعد على بلورة رؤية الواقع والماضي والمستقبل فساعد بالتالي على وضوح الرؤية بكل تداعياتها سواء الراهنة أو اللاحقة.

يتضح من هذا أن 'عبد الحميد بن هدوقة' كانت له رؤية واضحة للواقع ، والوضع القائم آنذاك ، و بذلك كانت قراءة مدركة وواعية للواقع.

عالج هذا الروائي الجزائري في أدبه موضوعات شملت المرأة ، و الاشتراكية، نبعت وجهات نظره من ثقافته المزدوجة العربية الإسلامية والغربية.

وتتبع كتابات هذا الروائي من فكرة الثوري وإيمانه بالعلم والإنسان هذا الإيمان مصدره صدق عميق ومعاناة ،وقضية المرأة هي من بين انشغالات الروائي الأساسية وكذا مسألة علاقة الإنسان بالأرض لمعايشته الواقع الحقيقي للفلاح الجزائري.[2]

(2) ينظر ، المرجع نفسه .ص217،216.

فمواقف 'عبد الحميد بن هدوقة' ليست إيديولوجية ، وإنما مواقف حقيقية واقعية تنظر إلى الواقع وتنطلق من نتيجة معايشته وقربه من الأحداث التي صورها ، وجعل لها شخوصاً تتفاعل فيما بينها، تلك الشخوص رموز تمثل بما تحمله هم الروائي والهم الوطني ، وتمثل هاجساً وقضية وموقفاً .

والتجربة الروائية الشكلية والجمالية لدى الروائي كانت خاضعة لنوعية المتلقي ومستواه ، ولهاجس حرصه على تمرير رسالته عبر الكتابة الروائية . [1]

كتب عبد الحميد بن هدوقة أول عمل له وأول رواية بالعربية في الجزائر "ريح الجنوب" تدور أحداثها حول العلاقة القوية بين الفلاح والأرض ، وتناولت قضية الإقطاع والاقتصاد وقضية المرأة في ظل التغيرات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.[2]

نرى أن هذه الرواية هي واحدة من كتابات الروائي التي تبين وتبرز انشغالاته بقضية المرأة ،إلى جانب قضية لا تقل أهمية عنها عند الروائي ، وهي علاقة الإنسان بالأرض.

(*1*) ينظر ،"عبد الحميد بن هدوقة ، ذكرى مسيرة مثقف و سيرورة وعي منفعل وفاعل ". عبد الحميد بورايو ،ص *217*.

(*2*) ينظر ، دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والطويلة . وعمر بن قينة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، دط ، *1986* ، ص*157* .

وشخصيات "ريح الجنوب" هي محرك الرواية في تنشيط الأحداث[3] ،فشخصية نفيسة في هذه الرواية "ضرب من الجيل الجديد في نفسها ثورة على تقاليد سيمت فيها المرأة ألوان الظلم" .[4]

يرى 'عبد الحميد بن هدوقة' في هذه الرواية أن المرأة تلقى الإذلال والظلم والاستبداد وهي لا حول لها ولا قوة ، تعيش بالنسبة له مكافحة للظلم ومجابهة للإذلال ، وتحت وطأة الاستبداد في ظل بروز ظروف ذات جذور في المجتمع الجزائري تمثلت في الثورة الزراعية كحقيقة تاريخية[5] ،فعبد الحميد بن هدوقة أعطى هنا صورة للواقع الذي كانت تعيشه المرأة الجزائرية.

أما الصراع الإيديولوجي فقد عالجه "الطاهر وطار" في أعماله خصوصاً "اللاز" وقد عالج أيضاً الواقع الجزائري ، و تبلورت الواقعية الاشتراكية في روايات الطاهر وطار في "الزلزال" ، ففي هذه الرواية تجسدت رؤية الطاهر وطار للواقع الجزائري الصعب ، وقضية هذه الرواية الأساسية هو تأمين الأرض ، ويرمز بالزلزال للشعب في محاكمته للإقطاع[1] .

(*3*) ينظر ، دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والطويلة . الصفحة نفسها .
(*4*) المرجع نفسه .ص *167* .
(*5*) ينظر ، المرجع نفسه . ص*166* .
(*1*) ينظر في الأدب الجزائري الحديث . أحمد دوغان ، ص*95* .

ويقول فيها الطاهر وطار :"رفع الشيخ عبد الحميد بو الأرواح بصره نحوه واستغرقت في تأمله ، كان يأكل بنهم ويتحدث بلا مبالاة وباطمئنان."[2]

أما رواية "العشق والموت في الزمن الحراشي" "للطاهر وطار" تناولت أيضا شرح الطلاب للفلاحين قوانين الثورة الزراعية ، وتوعيهتم سياسياً واجتماعياً.[3]

"فالطاهر وطار " في" اللاز" و"الزلزال" يجسد الثورة الزراعية و يرمز في روايته باللاز للشعب الذي يملك أن يردع الإقطاع والاستغلال ، وأما روايته "العشق والموت في الزمن الحراشي " فتبين موقف الطلاب من الثورة الزراعية في نشر قوانينها وشرحها ودورهم الفعال في التوعية .

وفي الموضوع نفسه نأتي على ذكر رواية "الليل ينتحر "لبكير بوراس " ، ورواية" لقاء في الريف " لحسان الجيلالي' .

وأما الجازية والدراويش "لعبد الحميد بن هدوقة " فقد تناولت واقع الأرض والثورة الزراعية، ودور الطلبة في التحامهم مع القرويين، والجازية في هذه الرواية رمز للصمود والمقاومة والحلم والإيمان بالعمل.

(2) الزلزال . الطاهر والطار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط3 ، د ت ، ص 29.
(3)ينظر، العشق والموت في الزمن الحراشي .الطاهر والطار ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، دط ، 1983، ص9 .

إن الجازية "تمثل ثمرة تضحيات الشهداء ،تمثل الجزائر واستقلالها... الدراويش يمثلون الصوت الشعبي الذي تعيش فيه الجازية وتحبه ".[4]

فلم يغب عن "عبد الحميد بن هدوقة" في روايته "الجازية والدراويش" الواقع الجزائري المتمثل في الثورة الزراعية، فأسقط هذا الواقع في روايته ،منوهاً بدور الطلبة في التحامهم مع الشعب ضد الاستعمار ،ولجأ هنا الروائي إلى الرمز فجازيته هي المرأة / الوطن .

وفي رواية "حين يبرعم الرفض ""لإدريس بوذيبة" عرض لقضية الأرض ومشكلات الفلاحين والضغط الممارس عليهم في الإقطاع"، ورواية "ناموسة "لشريف شناتليه" تصور الثورة الزراعية وتطرح التسيير الذاتي وتعرض تمرد الفلاحين على الإقطاع، والصراع بوعي كامل بين من يستغل و يستغل .[1]

فقضية الأرض كانت محور الروايات الجزائرية، إضافة إلى عرض قضايا الفلاحين واستغلال الإقطاع للجزائريين إضافة لقضية أخرى أخذت مساحة هامة وهي الثورة الزراعية .

4-الالتزام بقضايا الجماهير ونقد الواقع:

(4)نصوص وأسئلة دراسات في الأدب الجزائري .صالح مفقودة ،منشورات اتحاد الكتاب ابلجزائريين ،الجزائر ، ط1 ،2002 ،ص110 ،111 .

(1) ينظر ، نصوص وأسئلة دراسات في الأدب الجزائري . صالح مفقودة ، ص 98 .

رواية "بان الصبح "لعبد الحميد بن هدوقة " يرسم فيها الوضوح الفكري لعالم المدينة الكبيرة بمؤسساتها وصراع طبقاتها، وضرورة الالتحام لنصرة قضايا الجزائر المصيرية ، وتحاول رسم معالم الحياة السياسية والاجتماعية في الجزائر بعد الاستقلال.[2]

فكتابات "عبد الحميد بن هدوقة" دائما تكون موصولة بالواقع ، إذ يتخذ من شخوصه رمزا للواقع الجزائري وخدمة القضايا الوطنية.

أما واسيني الأعرج فتناول موضوع القهر الاجتماعي في رواية "وقائع من أوجاع رجل غامر صوب البحر" تطرح قضية النضال الثوري في شخص عاشور الذي يعيش الفقر والتعاسة والقهر ،أما في رواية "نوار اللوز" فقد ربط واسيني الأعرج فيها بين الماضي والحاضر في غربة صالح بن عامر وصور لنا كذلك القهر. [1]

فالروايتان تعالجان قضية من قضايا الشعب الاجتماعية وهي قضية الفقر والقهر والمعاناة ، إلى جانب القضية الأساسية وهي قضية المقاومة ، فهما تعطيان القارئ صورة عن الحياة الاجتماعية في الجزائر والوضع القائم فيها .

(2) ينظر ، في الأدب الجزائري الحديث .أحمد دوغان ، ص99، 100 .
(1) ينظر ، في الأدب الجزائري الحديث .ص 101 .

وإذا أخذنا "رشيد بوجدرة" في روايته "التفكك" يتناول الواقع الاجتماعي بمختلف طبقاته، ويقدم لنا المناضل في شخص "الطاهر الغمري".[2]

ويقول: " فلا يجب علي مصارحتها في هذا الشأن خوفاً من أن تتهمه بممارسة مساومة عنيفة ضدها ، كيف يمكن إذن كتابة التاريخ والتخلص من كل هذه الشوائب".[3]

وفي هذه الرواية أيضاً يتعرض "رشيد بوجدرة" إلى المجتمع الجزائري وما يعيشه، ويتعرض أيضاً إلى قضية النضال والمقاومة ، ويمثل لذلك " بالطاهر الغمري".

5- الهجرة ومفرزات واقع المهجر :

كتب "محمد العالي عرعار" روايته "ما لا تذروه الرياح" يطرح فيها الصراع الذي يعانيه البشير نتيجة رغبته في تغيير نفسه وفق الواقع الجديد ، حيث يعيش البشير في فرنسا بشخصية الغالب، وتصورالرواية . أيضاً. الواقع المهجري أيام الثورة ، وما يعيشه المهاجر.[1]

(*2*) ينظر، في الأدب الجزائري الحديث . ص*101* .
(*3*) التفكك . رشيد بوجدرة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط *2* ،*1982* ، ص*66* .
(*1*) ينظر ، في الأدب الجزائري الحديث . ص *102* .

ويقول فيها: "لقد انقضت سنة ونصف على قدوم البشير إلى فرنسا لتأدية الخدمة العسكرية".[2]

فالصراع على ما يبدو صراع نفسي، من جراء الرغبة في التغيير النفسي والعيش بشخصية ونفسية أخرى، وهذا الصراع ما هو في الحقيقة إلا إفرازات الواقع المهجري .

وكذا رواية "جغرافيا الأجساد المحروقة " "لواسيني الأعرج " تأتي على ذكر واقع المهاجر الجزائري وما يتعرض له في تغريبته من قهر، وكذلك رواية "المرفوضون" "لسعيد إبراهيم" تطرح نفس الموضوع ،فتروي وضع عامل جزائري هاجر إلى فرنسا ومعاناته والمتاعب التي تعرض لها ،إضافة إلى أنه ترك عائلته في الجزائر .[3]

فالروائي "واسيني الأعرج" و "سعيد إبراهيم" يطرحان موضوعاً واحداً وهو واقع المهاجرين الجزائريين وما يلاقونه في تغريبتهم من ظروف قاسية ،بالإضافة إلى اصطدامهم بالواقع الصعب هناك.

صورت رواية "محمد حاجي" على الدرب" التغيير الاجتماعي والثورات الزراعية والصناعية والثقافية ،أضف إلى ذلك مناقشته لقضية التعلم.

(2) ما لا تذروه الرياح . عرعار محمد العالي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط2 ،1982،ص66
(3) ينظر ، في الأدب الجزائري الحديث ، أحمد دوغان ،ص 102 ،103 .

ورصدت رواية "الشمس تشرق على الجميع" "لإسماعيل غموقات" الواقع الجزائري والتحولات الجديدة فيه، هذه التحولات كانت على المستوى الاجتماعي و السياسي. [4] فالكاتب ليس بمعزل عن الواقع و المستجدات التي تطرأ فيه .

و قد عكست هذه الروايات الجزائرية ما يجري في المجتمع من تحولات على مختلف المستويات، وعكست أيضا الثورات الصناعية، و الزراعية، و الثقافية بالإضافة إلى التطرق إلى قضية أخرى مهمة وهي التعلم.

6الإرهاب:

أما فيما يخص ظاهرة الإرهاب ، فقد نالت حظا من الكتابة الروائية إذ تعد هذه الظاهرة موضوعا حساسا "وليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي يقترفها،بل بفظاعتها ودرجة وحشيتها".[1]

و جاءت هذه الظاهرة بشكل صريح في رواية الطاهر وطار "العشق و الموت في الزمن الحراشي "، 'وعقبات في طريق تيميمون' "لرشيد بوجدرة " "والشمعة والدهاليز" 'الطاهر وطار".[2]

(*4*) ينظر ،المرجع نفسه. ص *104* .

(*1*) الرواية والتحولات في الجزائر (دراسات نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية). مخلوف عامر اتحاد الكتاب العرب،دمشق ، د ط ، *2000* ،ص*88* .

(*2*) ينظر، المرجع نفسه . ص *89* .

وقد عانت الجزائر كثيرًا و طويلاً من هذه الظاهرة الوحشية، و يأمل كل جزائري مخلص أن يحل محل الوحشية و الدمار الأمن و السلم و السلام .

المبحث الثاني: البعد الوطني في الرواية الجزائرية

1-المعالم الوطنية قبل الاستقلال.

2-المعالم الوطنية بعد الاستقلال.

1)-المعالم الوطنية قبل الاستقلال :

لقد حفز موضوع الوطن الكتاب الجزائريين لِأَنْ يبدعوا في مجال الرواية ، حيث ألف العديد منهم أعمالا رسموا فيها صورة الثورة، و الوطن، و تحدثوا عن الكفاح و النضال، والمقاومة والجهاد، و تكلموا عن التضحيات التي قام بها الشعب الجزائري.

أما الأدب الجزائري فقد عاش الثورة المسلحة ضد الاستعمار و التزم بقضايا الوطن، و هذا ما تجلى في سائر الفنون الأدبية و منها الرواية التي استطاعت أن تبلور معالم الواقع الثوري خلال الثورة الجزائرية المسلحة و بعدها، وهذا ما شكل مادة ثرية استطاع الروائي أن يكتب و يبدع بها، و بهذا لم تتمكن الرواية الجزائرية من الانفصال عن أحداث ثورة نوفمبر (1954–1962) وما زالت تنهل من هذا التاريخ و من أحداثه.[1]

و من النماذج الروائية التي جعلت من موضوع الثورة و الوطن هو المحور الأساس الذي تدور حوله مختلف التآليف الجزائرية نذكر ما يلي : "محمد ديب" ، "مولود فرعون"، "مولود معمري".... وغيرهم و قبل المواصلة في سرد الروائيين و رواياتهم ، لابد من التعرض لشيء عن موضوع الثورة و الوطن ،و ما إلى ذلك من مثل ذلك، و البدء يكون من الحديث النبوي الشريف، إذ يبلغ شأن الوطنية "مداه في فكر الشيخ 'عبد الحميد بن باديس' وهو يعلق على حديث 'رسول الله صلى الله عليه و سلم' في معرض درس قدمه بعنوان :تفسير القرآن الكريم –سورة الفلق–سنة1938 : " باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى بها سقيمنا بإذن ربنا ، فيقول : ...يقول المتخلف القاصر : تربة المدينة بريق النبي صلى الله عليه وتم شفاء ما بعده شفـاء ".[1]

(*1*) ينظر ، في الأدب الجزائري الحديث . أحمد دوغان ، ص*86* .

(*1*) "الوطن والوطنية " . عبد الرحمان شيبان ، مجلة الشهاب ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط *1* ،*2000*، ص *34* .

ثم أضاف قائلا : "لقد زادنا إيمانا بأنه يقول : تربة أرضنا بريقة بعضنا فهذه–و الله ربنا – صخرة الأساس في بناء الوطنية والقومية لا ما يتبجح به المفتنون".[2]

ما يريد أن يؤكد عليه الشيخ العلامة 'عبد الحميد بن باديس' أن الوطنية والوطن لها أرضية إسلامية، تراثية ، أصلية، فأساسها متين، أساسها الدين .

وما ساهم في توطيد علاقة الجزائري بأرضه، ووطنه هو التجربة الثورية والوطنية التي مر بها في مواجهته ضد الاستدمار الفرنسي .

إذ عانت الجزائر من "ويلات الاستعمار الفرنسي، الذي حاول عزل الجزائر عن العالم العربي ، وقطع جذورها". [3]

أما الحرية التي كان يسعى إليها الجزائري للتخلص من قبضة الاحتلال فكان ثمنها غالياً جدًا ،"وحين نقول الحرية، فهي الوطن والإنسان".[4] فهما طرفي علاقة متينة والكاتب يدافع عنهما بالقول والفعل، وهذا الدفاع ينعكس في الإنتاج الفني، الذي ينسجم فيه الشكل والمضمون، الإطار الفني والموضوع، فتنسحب تلك المسحة الموضوعية، و الوطنية

---

(2) المرجع نفسه . ص35 .

(3) htt://dardscha .net/ montada /archive /indesc php/t- 89834.n t m t .

(4) "ثالوث ...الحب ...الجمال ".سهيل الملاذي ،الموقف الأدبي ،اتحاد الكتاب العرب ، دمشق العدد325،السنة 28 ،أيار 1998 1419محرم ه ،ص 145 .

على الشخوص، أو الزمن، أو المكان ،أو السرد ، وكذا المناجاة و الرؤيا ، و الحوار، وغير ذلك، فيصبح هذا البناء يخدم المحتوى الوطني.

إذ تسعى المناجاة– مثلاً– إلى "إظهار ما خفي من أمور نفسية داخلية".[1]

أما فيما يخص الرؤى نذكر الرؤية الخلفية التي تسمح للراوي بالقص"بنظرة شاملة ونافذة تجاه الوقائع والشخوص". [2]

أما المكان فتكون له وظيفة رمزية ترتبط ارتباطا كبيراً "بالوظيفة الرمزية التي تفيد في تأكيد وتعضيد البناء الأساسي للشخصية لدى الفرد، فالخبرات المتكررة في مكان معين تساعد في تطور إحساس ما بالاستمرارية، و شعور ما بالانتماء لمكان معين " .[3]

بالإضافة إلى هذا يصعب الفصل بين "فلسفة الروائي،و ما اختاره من أساليب فنية " [4] ،وإن كان مضمون الروائي يتبلور من خلال فنيات الرواية، وهي تتبلور ضمنه، وهذا يعني أن هناك تفاعلا بين الشكل الفني

(*1*) ينظر ، " الحوار الداخلي وتيار الوعي في بناء الفن القصصي ". فاتح عبد السلام ، مجلة المعرفة ، وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية ، السنة *36* ، العدد *412* كانون الثاني ، *1998* ، ص*102* .

(*2*) "قراءة في رواية المنعرج لمصطفى الفارسي أئمة المثقفين ونموذج الحضارة الغربية" .الأخضر الزاوي ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، مجلس النشر العلمي ، الكويت ،العدد *57* ، السنة *15* ، شتاء *1997* ، ص*211* .

(*3*) "الوعي بالمكان ودلالاته في قصص محمد العمري" شاكر عبد الحميد ،فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، العدد الثالث ، خريف *1994*، ص *258* .

(*4*) "مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي آراء وتحاليل " بوطيب عبد العالي ، عالم الفكر وزارة الإعلام ، الكويت ، العدد *3* يناير ، فبراير ، مارس ، *1993* ، ص *32* .

(*5*) " الاتجاه القومي في الرواية " .مصطفى عبد الغني ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، العدد *188*، صفر *1415* هـ أغسطس ،آب *1994* م ،ص *349* .

والمضمون ولهذا صنعت الفنيات الروائية " وتصنع ضمن بنيات سياسية، واجتماعية، وثقافية مختلفة".[5]

وقد قام الإنسان الجزائري بنحت أمل الحرية من صخر العبودية ، ويضيف لتاريخ و جوده تاريخاً آخر من النضال والمقاومة الوطنية،و يضيف عمراً من الكفاح و الجهاد .

اغتنى الأدب الإنساني بأدب المقاومة "فبدا أن أجمل آثاره تلك التي تناولت مادتها من وهج ظروف استثنائية،يستنتج الناقد في يسر أن أدب المقاومة من جواهر الأدب العالمي . وكانت الظروف العادية تقدم للكاتب إمكانية كشف القوى الخارقة و العواطف الغنية في الإنسان ".[1]

وبما أن أدب المقاومة هو استمرار لما قبله فإن النصوص الروائية الجزائرية هي استمرار للنصوص التراثية العربية، الأصلية.

إذ بإمكان الرواية الجزائرية الحديثة، بعث إمكانات قرائية جديدة و فاعلة ، وذلك نتيجة "الإحالات المضمونية المتنوعة، تجعل من النص الروائي محل ترهينات مستمرة".[2]

(*1*) "المقاومة الوطنية " .ناديا خوست ، الآداب الأجنبية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، العدد *113* شتاء *2003* ، السنة *28* ،ص*14*.

(*2*) "التراث السردي القديم في الرواية الجزائرية الحديثة". فتحي بوخالفة ،مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، العدد *5* ، ربيع الثاني *1426* هـ - ماي *2005* م ، ص*244* .

أضف إلى هذا، فقد اهتمت الرواية الجزائرية بموضوع المقاومة والنضال ،وأصبحت "أحداث ووقائع حرب التحرير تشكل المحور الرئيسي في أغلب الأعمال، كما اهتم الروائيون بالآثار النفسية والاجتماعية التي خلفتها هذه الحرب على الشعب الجزائري"[3]

ولابد من الإشارة إلى أن الرواية الجزائية لديها وعي بالواقع النضالي وهذا الوعي يسمح لها بتعريف" الوطن والعدالة والوطن أكثر من ذاكرة ، والحفاظ عليه يفرض إما عدم الخروج منه أو العودة المنتصرة إليه" [4]

لا شك أن الوطن هو مكاننا الأصلي الذي على الاحتلال ألا يجد مكاناً فيه ، والعدالة هي ما يجب أن تجسده الحرية، أما الصراع فهو المعركة بيننا وبين المحتل، والوطن هو الملاذ الآمن.

يتميز أدبنا الجزائري في العالم العربي، بخاصية منفردة، نادرا ما تجتمع في الأدب وهذه الخاصية تتمثل في ذلك" التمايز في جملة الخصائص المركبة المعقدة أثبتتها صيرورة تاريخية لا مناص منها، تدخلت في تشكيل الأدب الجزائري على مر العصور ثلاثة عناصر، العنصر المحلي، والعنصر العربي، والعنصر اللاتيني الفرنسي، و

(3) *virsion HTML format de fichier. Microsoft Word -*

(4) في الأدب والتأليف و الترجمة . فيصل دراج ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط*1 1993* ،ص*270* .

انصهرت العناصر الثلاثة لغة و حضارة، عبر التاريخ ثم لبست حلة عربية في مرحلة استرداد السيادة الوطنية. " [1]

بالإضافة إلى هذا فقد خلقت الرواية الجزائرية لنفسها "تميزاً في الساحة الروائية، العربية، لأن روادها تمكنوا من تحقيق جماليات ومحاولات في الشكل الروائي". [2]

ومن نماذج ذلك ما كتبه "الطاهر وطار" و "أحلام مستغانمي" وكيف لا يروي لنا الطاهر وطار قصته مع النضال، وقد "التحق في سنة 1950 بالعمل الثوري في صفوف جبهة التحرير الوطني" [3] . هذه أمثلة ونماذج تبين تمكن الروائي الجزائري من آليات الفن الروائي بالإضافة إلى المضمون الذي يروي فيه تجربته الوطنية .

و للروائي "الطاهر وطار" أعمال جسدت " بإتقان مختلف التحولات التاريخية و الاجتماعية التي مر بها المجتمع الجزائري ".[4]

أما عن الروائي "عبد الحميد بن هدوقة" فقد كتب 200 مسرحية بالإضافة إلى ما يقرب من العشرين رواية منها : ريح الجنوب ،الجازية والدراويش، بان الصبح، الوصية .[5]، ومما تقدم يتضح أن الروائي الجزائري حقق إضافة بمحاولاته الجادة في الفن الروائي.

---

(1) *http : www.alsakher .com/vbe/ shawthread .php ?t109925-*
(2) *htt://www.magharebia .com /cocoon/awi/xht/ml1/ar/features/2005/10/07*
(3) *-htt://www.arabworld books.com/uthers- waters HTM*
(4) *–htt://www.divan arab.com/spip ?article1897*
(5) ينظر : *htt p:// ac – marsailles.fr pedagogie arabe / biographieBenHaddougha.htm*

وبالنسبة للروائية "أحلام مستغانمي" فقد صدر لها من روايتها ذاكرة الجسد تسع عشرة طبعة، بيع منها سنة 2004 أكثر من 130000 [1].

هذا عن النماذج الروائية الجزائرية أما عن الجانب الوطني والمسحة الوطنية ، والصبغة الثورية والكفاحية والنضالية فسيأتي الحديث عنها .

تعتبر الثورة من العوامل الأساسية في تطوير المجتمع إذ لا يمكن تصور ثورة واضحة المبادئ لا تحدث تطورا كبيرا كما أنه لا يمكن تصور تطور هام لا تقوم ركائزه على ثورة قوية، "فالثورة هي التطور، والتطور هو أحد النتائج العاجلة للثورة، وإذ كانت الثورة الجزائرية قادرة على التغيير فإنها وجدت وضعا اجتماعيا عاما قابلا بطبعه لهذا التغيير وقد عبر عن هذه الحقيقة آنذاك الشهيد العربي بن مهيدي عندما قال :ارموا بالثورة إلى الشارع تحتضنها الجماهير".[2]

(1)ينظر: *dz blog .net soleil55/5524/&%23160%3B–*

(2) الحياة الروحية في الثورة الجزائرية . محمد زروال ،المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، دط ،1994،ص45 .

ولولا الأرض الصلبة والجذور الضاربة في الأعماق والتاريخ النضالي المتماسك الحلقات، لما ثبتت للثورة قدم، ولا أورق لها غصن، ولما تفتح لها مستقبل ولاختنقت الرصاصات الأولى في قمة الأوراس. [3]

هذه الثورة خاضها الشعب بكل مقوماته، لكن أثبت الشعب أنه لا يمكن أن يندمج في "شعب لا تربطه به أي صلة حضارية أو تاريخية أو ثقافية".[4]

لا يمكن إنكار دور الشعب الجزائري في صناعة الثورة المجيدة التي تركت للإنسان الجزائري الفخر، والاعتزاز والكرامة.

و قد شغلت قضية الحرية الفكر الإنساني منذ الوعي الحضاري . إذ استشهد من أجلها الملايين لدرجة أن "الحرية والإنسانية أصبحتا وجهين لعملة واحدة هي : الكيان الإنساني الحق و في فلسفة الأدب أصبح صراع الإنسان صراعا من أجل الحرية و مهما اختلفت المفاهيم عن الحرية فهناك حد أدنى منها لا يستطيع أغنى الطغاة أن يتحداه، وإلا انقلب الأمر إلى ثورة عارمة ضده".[1]

(*3*)ينظر، الجزائر والأصالة الثورية .صالح خرفي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،د ط ، د ت، ص*6* .

(*4*) المثقفون الجزائريون والثورة ، العربي الزبيري ، المتحف الوطني للمجاهد ، الجزائر ، د ط ، د ت ، ص*100* .

(*1*) موسوعة الفكر الأدبي .نبيل راغب ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط ، *2000*، ص *172* .

أضف إلى ذلك أن الرواية الجزائرية صورت الجوانب المشرقة من "حياة الثورة، لرصد تطور حركة الوعي الثوري داخل الإنسان المظلوم والتفاؤل بانبثاق فجر النصر" .[2]

وليس بغريب عن الشعب الجزائري أخلاقياته وحضارته، وبما أنه كذلك"فهو حتماً شعب ينتزع أهليته للحياة والحرية والسيادة والمجد".[3]

فالتاريخ يشهد لهذا الشعب بنضاله من أجل الحرية والاستقلال والعمل على تخليص البلاد من قبضة الاستدمار الفرنسي ،والجهاد من أجل نيل الاستقلال ، ومن أجل الخروج من الظلمات إلى النور.

هذا الواقع الثوري والوطني، التي تميزت الرواية الجزائرية في إطاره يجعل من انفتاح الرواية عليه، مجالاً تتمتع فيه"بحرية الحركة والتعبير أكثر من أي جنس أدبي".[4]

أما الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية فتتجلى فيها المعالم الوطنية كثلاثية "محمد ديب"المشهورة.

وما كتبه "مولود فرعون"، كرواية "الدروب الوعرة" ،إذ جاء فيها على لسان البطل "عامر" أثناء تواجده في فرنسا: "يقولون لي عد إلى بلادك يا

(*2*) الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصر (في الفترة ما بين *1931 - 1976*).أحمد طالب، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط،*1989* ،ص*54* .

(*3*) القصة الجزائرية المعاصرة . عبد الملك مرتاض ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د ط ، *1990* ، ص *63*.

(*4*) آفاق الرواية (البنية والمؤثرات – دراسة).محمد شاهين ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، دط ، *2000*،ص *5*.

بيكو عندئذ أدركت أن لي وطناَ وأنني سأعتبر دائماَ أجنبياَ في غيره من الأوطان وقد غفلت عن هذه الحقيقة عشرين سنة ،وحينما انتبهت من غفلتي صرت لا أطيق صبراً على بلادي وشعرت برغبة جامحة لزيارتها والتمتع بخيراتها والمشي فوق ترابها واستنشاق هوائها الساخن والتعرض لأشعة شمسها المحروقة والسير في دروبها المغبرة ."[1]

ويقول أيضاً :"نحن قوم نعتز بأنفسنا، وهذا ما يجعل أبناء بلادي في جميع العصور يفرون من السهول ويعتصمون بالجبال المَنيعة ويتركون الأراضي الخصبة ويقيمون في الغابات الكثيفة ذات التربة المليئة بالحصى والأحجار، إننا نعتز بأنفسنا ونتمسك بحريتنا ولا نكترث بالبؤس والشقاء."[2]

ويضيف عامر قائلاً :"لا أرضى عن إيغيل نزمان وغيرها من قرى بلادي ، لا أرضى عنها بديلاً لأننا هناك نعيش في جو عائلي ولا يوجد أحد من الفرنسيين".[3]

ويبدو أن الرواية المكتوبة بالفرنسية تعكس الوعي الوطني والثوري ،لدى كتاب الجزائر الذين يكتبون بهذه اللغة، إذ عكسوا في كتاباتهم إحساسهم بالهم الوطني والجزائري، وبينوا من خلال هذه الكتابات أنهم على وعي بالقضية الوطنية والواقع الجزائري .

(*1*) الدروب الوعرة . مولود فرعون ، تر ، حنفي بن عيسى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط *5*، *1990*، ص *161* .

(*2*) المرجع نفسه .ص *163* .

(*3*) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

أما "مولود فرعون" فكتب "الهضبة المنسية"، "وسبات العادل"، "والأفيون والعصا" وتُعْنَى روايته الثالثة "بحرب الاستقلال ذاتها، بمحاسنها ورعبها، بأصدقائها وأعدائها".[4]

وقد دار موضوع روايات "مالك حداد حول الجوانب الثورية والوطنية" [5]، إذ شكلت الثورة الموضوع الأساسي الذي يدور حوله إبداع هذا الروائي.

بالإضافة إلى ذلك تتابع أعمال 'محمد ديب' تحول الجزائريين "من الركود إلى اليقظة ، ويمكن تقسيم أعماله إلى فئتين ،فئة ما قبل الاستقلال، وفئة ما بعد الاستقلال".[1]

وضحت هذه الأعمال التبشير الذي سبق الثورة ،والتهيئة النفسية لها وبذور هاته الثورة وعلاماتها ،كما تابعت نفاذ الصبر عند الجزائريين على جور الاحتلال.

وكان من شأن الثورة أن قامت بغرس الغضب والغليان في الشعب الجزائري وقد غذى هذا الغضب تآليف الكتاب أيضاً ،أما كاتب ياسين فقد سعى إلى تسمية الأسماء بمسمياتها ،ووضع الأشياء في مكانها،إذ أيضاً يرى أنه يجب أن نعبر عن ماضينا وعن حقيقتنا ،بالإضافة إلى هذا

(4) تطور الأدب القصصي الجزائري (1925-1967) .عايدت أديب بامية ، ص73.
(1) تطور الأدب القصصي الجزائري (1925- 1967) .ص 75.

"فإن التأرجح بين الماضي والحاضر هو الذي يفسر التطور الدائري في أعمال كاتب ياسين".[2]

أما "مراد بور بون" "فيتناول اليقظة لدى الجزائريين ووعيهم بالواقع".[3]

ومن هنا يمكن القول أن الأعمال الأدبية الجزائرية عكست الواقع المعيش إلى "درجة عالية من الأمانة والصدق وهي تعتبر بمثابة مرآة وبعد ذلك ظهر أدب ينطبق عليه تعبير الأدب الثوري".[4]

لقد تَكَشّفت من خلال أعمالهم مساندة كتاب الجزائر لثورتهم ،التي حملت المسحة الوطنية، وانسحبت عليها الصبغة الثورية .

لقد ظهرت عقب الحرب العالمية الثانية ،توترات "حادة في الجزائر كما تزايدت أنشطة الوطنيين إلى أن وصلت ذروتها في عام 1945، مع مذابح سطيف

الرهيبة، وقد أدت الأحداث السياسية إلى الاكتشاف التدريجي للكيان الوطني الذي

تجسد بوضوح خلال حرب التحرير".[1]

(*2*) المرجع نفسه. ص *74* .
(*3*) المرجع نفسه ، ص *75* .
(*4*) المرجع نفسه .ص *137* .
(*1*) تطور الأدب القصصي الجزائري (*1925- 1967*) .ص *137*.

واتخذ التزام الروائيين الجزائريين بمناحي "واتجاهات مختلفة فلقد كان كاتب ياسين مفتوناً بفكرة الأمة الجزائرية ، فلم يكتف فقط بالوقوف مدافعاً عنها بحماسة وبالعمل على بعثها وإحيائها ، بل إنه عمل على تشخيصها وإعطائها الصبغة الإنسانية ،فقدم لنا الجزائر حية كحيوية بطلته الساحرة الفاتنة ،نجمة ولقد تركزت كافة كتابات ياسين الأدبية على هذا المفهوم للأمة".[2]

وقد أعطى 'كاتب ياسين' "الحرب طابع الملحمة ،وقام باستعمال رمز "نجمة كرباط يصل الماضي بالحاضر، ويربط بين الحدث وجيل الشباب الذين تحملوا عبء المعركة ،أما بالنسبة لمولود معمري وآسيا جبار ومالك حداد ،فقد تناولوا الحدث بأسلوب مباشر ،وإن كان كل منهم يعبر عن رسالة خاصة من خلال حرب التحرير ،فمن جهة نرى معمري يعطي الحرب معنى عالمياً".[3]

ومما تقدم يتضح أن كتاب الجزائر رسموا صوراً عدة للثورة متصلة كلها بالكفاح، والنضال والجهاد، والسعي من أجل نيل الحرية والاستقلال.

أضف إلى ما تقدم من روائيين ،فقد درست "آسيا جبار" "نتائج الحرب على نفسية الجزائريين وما تركته على بعض الأشخاص من آثار. وقد نظر "مالك حداد"إلى الحرب برؤية شاعر ،حيث يلح على مشاعر وأحاسيس

(2) المرجع نفسه. ص 138 .
(3) المرجع نفسه .ص 146 .

الإنسان اتجاه بعض أحداثها ومآسيها " [4]،فالروائية"آسيا جبار"ركزت على ما تتركه الحرب على نفسية الشعب ، و'مالك حداد ' ركز على إحساس الإنسان اتجاه الحرب .

وقد صورت الرواية الجزائرية ظلم وجور الاحتلال وسيطرته المستبدة ، وكذا معاناة الشعب التي دفعته إلى الحرب والثورة، وهنا نرى "محمد ديب" في روايته الدار الكبيرة يتناول ذلك.

إذ أن حالة الفقر التي يعيشها عمر لم تجعله يتنازل عن كرامته ،فقد كان معتزاً بنفسه ويأبى أية حسنة يمكن أن تسبب له نوعاً من" الإذلال أو التحقير ، ويرضى بما يقدم له فقط بعد الإلحاح الكثير من طرف العاطي".[1]

إن 'عمر' في 'الدار الكبيرة'، و 'فورولو' في 'ابن الفقير' "يلجآن إلى مختلف الوسائل للحصول على الطعام وكان 'فورولو' أكثر حظا من عمر لأن الأول كان ينتمي لأسرة تفضل الأولاد الذكور على الإناث، ونتيجة لذلك فقد كان يحظى بنصيب من الطعام أكبر من نصيب البنات، ومما لا شك فيه أنه كان دائم الجوع ،وقد حدث مرة تحت إغراءات زميلين له ،أن ذهب في زيارة لأبيه في مكان عمله ليتقاسم معه طعامه". [2]

(*4*) المرجع نفسه. الصفحة نفسها.
(*1*) تطور الأدب القصصي الجزائري (*1925- 1967*) .ص *146*.
(*2*) المرجع نفسه ،الصفحة نفسها.

وقد كانت "عيني" لمّا تحصل على النقود تفكر أول ما تفكر "بالحصول على الطعام فكيف لها أن تشتري الشيء الكثير بما لديها من نقود قليلة ،بيد أن كل ما افتقده أبناؤها في الواقع ،حصلوا عليه في تصوراتهم ،وقد اغتاظت أمهم من أحلامهم اليومية باللحم والكسكس الجيد،إذ جعلتها تشعر بمدى عجزها عن تلبية الحدود قبل رؤية الكميات الوفيرة من الطعام".[3]

وقد كانت "عيني" في "الدار الكبير" تعاني مما يعاني منه عمر ،وغيرهما من الجزائريين ،مما فرضه الاستعمار من عذاب وفاقة وبؤس، واستغلال، وحرب شاملة لمختلف المجالات ،بالإضافة إلى الإذلال والتحقير، وهذا ما بشر بالثورة ، فالشعب الجزائري لا يحتمل الذل والإهانة إطلاقاً.

ولعل من الضروري التنويه –ها هنا–إلى أن المبدع الجزائري كان يكتب روايته من موقف الإقناع والحب للوطن والوطنية إن لم يكن بدافع الفخر

بالثورة والإنجاز الوطني فضلاً عن ذلك ،فقد تميزت الثورة الجزائرية بمميزات هي ،كالتالي :

الشعبية ،الاستمرارية، العروبة.

(3) المرجع نفسه.ص91

الـفـصل الأول
الـروايـة الـجزائـريـة والـبـعـد الـوطـنـي

يرى المؤلف أن تجربتنا الوطنية أول مميزاتها هو أنها كانت من صنع الشعب الجزائري كله، كانت من صنع الرجل المرأة والشاب والشيخ والطفل ولعل قليلاً من الثورات في العالم تصل إلى مستوى الثورة الجزائرية في الشعبية وشمولية النظرة، ولهذا كان على المسيرين للثورة أن يأخذوا هذا المميز البارز بعين الاعتبار في كل موقف من مواقفهم. [1]

هناك مميز آخر لا يقل أهمية عن الأول وهو مميز "الاستمرارية في العمل الثوري ،فالثورة الجزائرية لم تتوقف باسترجاع الشعب الجزائري لسيادته ،بل استمرت الجزائر في عدائها للاستعمار في شكل مغاير نوعاً ما ... استمرت الجزائر في عدائها للاستعمار في مختلف أشكاله" .[2]

ومما يسم ثورتنا أيضاً عروبتها فهذه العروبة مما تمتاز به بين الثورات العالمية المشابهة ، وتدل شمولية الثورة واستمراريتها على أنها استمرار للزحف الحضاري العربي الأصيل ولعل هذه المميزات للثورة الجزائرية هو الذي منحها مكانة خاصة بين الثورات العربية المعاصرة.[3]

وبالتالي فمميزات الثورة الجزائرية مميزات متينة ومحكمة، جعلت الثورة –في ذلك الوقت– تستمر إلى تحقيق النصر.

(*1*) ينظر ، النثر الجزائري الحديث . محمد مصايف المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر دط ،*1983*ص*15*

(*2*) المرجع نفسه .ص*16* .

(*3*)ينظر، المرجع نفسه .ص *19* .

2) المعالم الوطنية بعد الاستقلال:

لقد تم تصوير الواقع الجزائري في الرواية سواءً واقع المقاومة المنظمة وذلك من خلال نضال جبهة التحرير الوطني أو كفاح الشعب ومقاومته ، ومن هذا المنحنى قام "الطاهر وطار" في رواية "اللاز" بتصوير المقاومة بشكل مفصل فهي تحكي قصة طفل وهو اللاز أصبح يناضل في صفوف الجبهة [1] ،يجعل دائماً نصب أعينه ما كان يقول والده "زيدان" :"يجب أن نغير الحياة ياللاز ابني ...عليك الآن أن تعمل في خط واضح ومن أجل هدف واضح...سأتركك بعد قليل لألتحق بالجبل ...سلّم على أمك ،واتصل بعمك حمو لتعمل معه".[2] فبطل هذه الرواية هو "اللاز" الذي يقدم التضحية للثورة التي لا تطلب إلا التضحية ،فكان مجاهداً ومناضلاً تعرض لألوان من التعذيب من أجل الاعتراف مع من يعمل ،لكنه تحمل.

ويتمادى الروائي بوصف حالة الثوار والعلاقات القائمة بينهم وهدفهم ، والإيمان المشترك بتحرير الوطن إذ تقول إحدى الشخصيات :"حسناً يا

(1) ينظر ، في الأدب الجزائري الحديث .أحمد دوغان ،ص89.
(2) اللاز. الطاهر وطار ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط3 ،1981 ،ص67 .

رمضان إننا هنا لا نحمل رتباً عسكرية ، ولا نستعملها كذلك في الجيش الثوري لأنها تحدث انفصالاً بين المناضلين ما يربطهم بالكفاح سوى الإيمان المشترك بتحرير الوطن وتعديل الحياة ...هل تفهم ؟ ينبغي أن تغير من بدلتك وأن تبدوا مثلنا". [3]

وجاء في الرواية عن اللاز :"فيك بذور كل هؤلاء ياللاز....بذور كل الحياة كالبحر ....إنك الشعب برمته ...الشعب المطلق بكل المفاهيم..."[4] ،فالعلاقة القائمة بين الثوار هي علاقة متينة، يعملون كرجل واحد لتحقيق الحلم،حلم الحرية.

فاللاز في الرواية يرمز للشعب الثائر المدرك لحقيقة الوضع رغم أميته فهو يعرف ماذا يريد ،إلى ماذا يريد أن يصل ،"هذا اللاز ليس غنياً ، وليس واعياً للفقر... وليس مستسلماً ...أميٌّ لا كالأميين وشاب لا كالشباب ،هذا اللغز هذا اللاز كيف أصنع منه شيئاً ؟...إنه البحر بعينه :" إنك الآن أفضلنا جميعا ياللاز لا تحس بشيء لأنك ما تزال تعيش الثورة ، بل لأنك الثورة ". [1]

(*3*) المرجع نفسه ، ص*161* .
(*4*)المرجع نفسه .ص*164*

(*1*) اللاز .الطاهر وطار . ص*277* .

فاللاز هو صوت أراد له الكاتب أن يعبر عن "الضمير الجمعي عن الشعب الذي ناضل أيام الثورة وقدم كل ما يملك من أجل أن يرى النور يوماً ويرفع عن كاهله ثقل الاستبداد والتسلط".[2]

فاللاز يمثل الشعب ، البطل ،الذي يعطي فكرة عنه بصفاته وطموحه ومميزاته ،فاللاز هو البطل هو صورة لعالم هذا الشعب.

فالرواية من خلال الاعتماد على الذاكرة الشعبية تقدم تشريحاً لحجم التضحيات المقدمة في الثورة [3] ،إذ روايته تحكي عن النضال الوطني ضد الاستعمار الدخيل [4] ،أما مشاركة الطفل في المقاومة الشعبية فقد عرضت له رواية "طيور في الظهيرة " "لمرزاق بقطاش" حيث جعلت مفهوم الثورة يمتد إلى عالم الطفولة عارضة الصراع وموضحة بأن الوعي الثوري امتد إلى عالم الطفل ،إذ قام الروائي بإسناد مجموعة من الأعمال إلى الأطفال لتدل على بطولتهم في النضال[5] .

وهذه التفاتة من الروائي بهدف أن يحدث توسيعاً في المواضيع الروائية بإعطاء فكرة عن مفهوم الثورة والوطن لدى الطفل ، ومدى وعيه بهذا.

(*2*) الرواية المغاربية (الجدلية التاريخية والواقع المعيش – دراسة في بنية المضمون) .إبراهيم عباس ، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار ،د ط ،*2002* ،ص *15* .

(*3*) ينظر، المرجع نفسه .ص *16* .

(*4*)ينظر، المرجع نفسه ، ص*17* .

(*5*) ينظر، في الأدب الجزائري الحديث .أحمد دوغان ،*89* .

وقد انطلق هذا المفهوم في التبلور منذ البداية بوصفه شعورا لدى الطفل :"مراد كغيره من أطفال الحي بنفور شديد من الفرنسيين دون أن يدري سبباً لذلك فعندما شرع في فهم بعض الحقائق من الحياة أدرك أن هناك فرقاً بين العرب والفرنسيين ،لقد قيل له دائماً أنهم مستعمرون احتلوا البلاد بقوة".[1]

ومفهوم الثورة طرحه مرزاق بقطاش أيضاً في روايته "البزاة"وفيها جعل من الطفل أكثر وعيا للنضال.[2]

فقد أدرك الطفل مراد وهو بطل الرواية أن هذه الأرض ليست للغرباء وذلك من خلال إحدى حصص التاريخ القديم.

وهذا ما يتضح في حوار الطفل مع نفسه قائلاً:"ولهذا السبب بالذات ينبغي أن يتخذ كل واحد منهم طريقة ،يستحيل أن يحدث اتفاق بيننا وبينهم ،شقة الخلاف واسعة لغتهم غير لغتنا ،دينهم غير ديننا أرضهم غير أرضنا ،ففيم عنادهم إذن؟"[3]

بالإضافة إلى عدة روايات ركزت على موضوع الثورة منها :"نهاية الأمس لعبد الحميد بن هدوقة و"الانفجار" " لمحمد حيدار"" والمؤامرة "

(1) طيور في الظهيرة .مرزاق بقطاش ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، 1983 ،ص 99.
(2) ينظر ،في الأدب الجزائري الحديث .ص 89 .
(3) البزاة . مرزاق بقطاش ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،دط ،1983 ،ص 99

"لمحمد مصايف " ورواية "كان الجرح ويا ما كان "لمحمد الأخضر عبد القادر السائحي "[4]

وبما أن الثورة الجزائرية كانت محور الكتابات التي ذكرت فقد شكلت بذلك مادة مهمة للتشكيل والإبداع، والنهل من هذه الثورة بهدف توظيف هذا التاريخ في إطار فني .

هذا، وينبغي الإشارة إلى شرط مهم في هذا المبدع أو الأديب وهو الاقتناع والالتزام بالقضية الوطنية ،فالالتزام لا يفيد الفن الذي يبدع في إطاره ولا القضية التي يعمل من أجلها إلا إذا نبع من نفس صاحبه دون إكراه ولا طمع ،فالاقتناع هو الشرط الأول في أن يكون للأدب فعالية .[1]

والملاحظ هنا أن هذا الحس الوطني وحب الوطن والوطنية هو ما يدفع الأديب من أجل تحقيق فعالية هذا الأدب في التعبير عن الهموم الجزائرية لأن الوطنية هي :"حب هذا الوطن والشعور نحوه بارتباط روحي [2]"

(*4*) ينظر . في الأدب الجزائري الحديث .أحمد دوغان ، ص *92* .
(*1*) ينظر، النثر الجزائري الحديث .محمد مصايف .ص *105* .
(*2*)ينظر، الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث محمد مصادق عفيفي ،دار الكشاف للنشر و التوزيع ،بيروت ، القاهرة بغداد ، دط ، *1996* ص *9*

وبالتالي هناك هدف منشود يبحث عنه أدب المقاومة الجزائري وهو بعث شخصية ،الشعب الجزائري وبعث ثقافته الوطنية من منطلق الثورة وموجباتها الكفاحية ... وتبنى قضية التحرير من كافة جوانبها .[3]

إن عملية انتزاع الذات من أسر حضارة يعيشونها ثقافيا ، و لكنها لا تخدم قضية الوطن ومجادلة العودة إلى أصالتهم بحضارة تقوم على مفهوم للوجود القومي والاستقلال الوطني ليست بالعملية السهلة .[4]

ومن هنا يمكن التأكيد على أن ما يميز الأدب الجزائري هو إدراكه قيمة الإنسان من حيث هو معطى متعدد الجوانب والأبعاد وقد رصد أدب المقاومة هذه العوالم الإنسانية في الفرد الذي صنع الحياة وصنع الثورة .[5]

ويتفنن الإنسان الجزائري في هذا العمل النضالي الذي يعرف أنه يكلفه حريته الشخصية وحياته فلا يهتم حتى إذ التحق بالثورة صورالأدب هذاالإنسان وهو يقاتل وً يخوض المعارك في حرب تحريرية عادلة تعمل للحرية والحضارة بمثل ما تعمل لطرد المحتل وإحراز الاستقلال.[1]

(*3*) ينظر ،أدب الحرب . نجاح العطار و حنا مينة،دار الأدب ، بيروت ، ط*2* ،*1979* ، ص*195*.
(*4*) ينظر ، المرجع نفسه .ص *197* ،*198* .
(*5*) ينظر، المرجع نفسه . ص*198*،*197* .

(*1*) ينظر، أدب الحرب . نجاح العطار . ص*198*،*197* .

فالأدب صور الإنسان الجزائري في قدرته على صنع الثورة وتحقيق الحرية والاستقلال وتلك هي وظيفة الأدب والمتمثلة في رسم صورة لثورة هذا الوطن ووطنية هذا الإنسان المحرك لهذه الثورة .

وبما أن هذه الثورة هي رفض عنيف للواقع وإدارة صادقة لتغيير هذا الواقع إلى واقع أفضل منه [2] .فالشيء المؤكد أن أدباء الجزائر انفعلوا بها ،وعبروا عن بعض جوانبها بكل صدق وبكل إخلاص ونحن نعرف أن معظمهم قد شرد أو عذب أو سجن ومنهم من نال شرف الشهادة في سبيلها.[3]

والأدب الجزائري هو صورة للشعب نفسه ولظروفه وآماله وآلامه التي قد تكون هي آمال الإنسان أينما كان .[4]

ومن هذا المنطلق يمكن القول بمسحة الأدب الجزائري الوطنية المتجلية من خلال موضوع الثورة ،وهذا ما أكسب هذا الأدب فعالية في وصف العلاقة بين المضمون الوطني والإطار الفني.

وهذه في الحقيقة سمة الشعوب التي تعرضت للاحتلال الذي جثم عليها كالشيطان المارد ،ثم كان لها أثناء ذلك أو من بعد ذلك كتاب يكتبون وروائيون يسردون.[5]

(*2*) ينظر، الثورة في شعر محمود درويش .ياسين أحمد فاعور ، دار المعارف للطباعة والنشر ،تونس ،د ط،*1989* ،ص *74*

(*3*) ينظر، قراءات في القصة الجزائرية .أحمد منور ،مكتبة الشعب ،الجزائر ،د ط ،*1981* ، ص *15*.

(*4*) ينظرالأوراس في الشعرالعربي ودراسات أخرى.عبد الله ركيبي،الشركة الوطنية للنشروالتوزيع،الجزائر،دط،*82*،ص*143*

ومن أجل ذلك تعالج الروايات الوطنية الطابع "رفض الشعوب للظلم الذي صبته عليها أوربا وفرضته عليها بقوة السلاح وجمر النار، ورفض الظلم هو أسمى صفات الإنسان حين يمجد الحرية فيفنى حباً فيها"[1] ،فالإنسان بطبعه يحب الحرية ويطمح ويسعى إليها .

إضافة إلى هذا فقد احتضنت العديد من الروايات موضوع الوطن وصورة الثورة وعبرت بطرق ومواضيع متنوعة عن هذا المنحنى فمنها من صورت وعي الطفل بمفهوم الثورة وضرورة النضال، ومن نماذج تلك الروايات "طيور في الظهيرة"لمرزاق بقطاش.

تقدم هذه الرواية الطفل البطل مراد وأطفال مدرسته في توتر حاد مع المعلمة اليهودية الذي ازداد حين ضربت مراد حتى أسالت الدماء من أنفه لأن مراد والأطفال لا يريدون تعلم الفرنسية فقرروا أن يضربوا عن الدراسة "إنهم يريدون الانصياع لأوامر المجاهدين حتى يكونوا هم الآخرين مجاهدين فليس يعقل أن يتوجهوا إلى المدرسة بعد اليوم ويتعلموا لغة العدو وإنها قضية حياة أو موت بالنسبة لهم، والويل لأي طفل عصي هذه الأوامر وذهب إلى المدرسة".[2]

(*5*) ينظر ،"في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد". عبد الملك مرتاض ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، شعبان *1419* هـ ،ديسمبر كانون الأول *1998* م ،ص *49* .

(*1*) "في نظرية الرواية – بحث في تقنيات السرد". عبد الملك مرتاض .ص*49* .

(*2*) طيور في الظهيرة .مرزاق بقطاش ،ص*69* .

لقد أصبح الطفل "مراد" يدرك أكثر معنى الوطن وفي هذا السياق جاء في الرواية "المهم بالنسبة له هو أنه يدرك أن شيئاً ما قد بدأ يتحرك في حياته إنه الوطن الذي يغني عنه في أناشيده ،كان معناه منذ هذه اللحظة سوف يعرف مدى خطورة الأناشيد كان يعلم أنها خطيرة ولكنه بدأ مغزاها أكثر مما مضى ،الذين ألفوها أناس مجاهدون أيضاً وهم يدركون قيمة الوطن".[3]

ومن صور الوعي الثوري لدى الطفل التي رسمها "مرزاق بقطاش"ضرورة الاقتداء بالمجاهدين والمناضلين إذ "يجب الاقتداء بما قام به هؤلاء المجاهدون في الجبل ،هذه الوسيلة الوحيدة للقضاء على الفقر والأوروبيين الذين يحتلون

البلاد"[1]، فالوعي الثوري ظاهرة صحية في أي مجتمع يعاني من الاستعمار وتبعاته.

هذا بالإضافة إلى أحداث تدل على مشاركة الطفل في الثورة، ومن ذلك ذهاب الفتيات للتضميد والتمريض في صفوف الجبهة ، إذ جاء في الرواية "تلك الفتاة عادت لتوها ،من جرجرة حيث كانت تقوم بتضميد جراح المجاهدين ، وكان مدير المدرسة قد تلقى أمراً من المسؤولين عن جبهة

(3) البزاة .مرزاق بقطاش ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، 1983 ، ص57 .
(1) البزاة . مرزاق بقطاش، ص 57.

التحرير يرجونه فيه أن يرسل بفتاة قادرة على الاضطلاع بالتمريض ، وتطوعت العديد من الفتيات"[2]

ما يلاحظ في النص السردي الروائي ،أن الكاتب يقدم التفاصيل للواقع،تصور للقارئ الأحداث وكأنها شريط يعرض مجريات الأمور ،بالإضافة إلى هذا فتضحية الفتيات المصورة في الرواية، يدل على مشاركة كافة شرائح الشعب الجزائري في معركة الوطن وحربه.

يضيف المؤلف عن الفتاة التي تم اختيارها من بين ذلك العدد الذي تطوع ولعلها كانت أكبرهن سنا و أذكاهن، و قد زعم المدير حين تسريح الفتاة من المدرسة أنها تزوجت حتى لا يشك العساكر في أمر ذهابها، و نجحت الحيلة فعلا ،فقصدت الفتاة جبال جرجرة و قضت بها ما يقرب من شهر.[3]

والملاحظ أن الكل كان يتعاون على نصرة الثورالتحريرية الكبرى .

وبدأت الفتاة تصف للتلاميذ كيفية نجاتها من القصف وهروبها مع المجاهدين ، وبذلك رفعت حماسة التلاميذ في الالتحاق بالمجاهدين .[1]

والملاحظ في هاتين الروايتين أنهما تناولا نفس الموضوع، أي موضوع الطفل، ولكن في الرواية الأولى تعرضت لوعي الطفل بمفهوم الثورة ،أما الثانية فقد عرضت لهذا الموضوع بشكل يعبر عن وعي و نضج

(2) المرجع نفسه .ص 121 .
(3) ينظر ،المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

(1) ينظر ، البزاة . مرزاق بقطاش ،ص 122

أكثر .يعبر الكاتب في روايته عن الوقائع التي كانت تحدث أيام الثورة ، فيكتب عن حقيقة تلك الأحداث ، إذ ترتبط بحياته أشد الارتباط . [2]

أما موضوع رواية "نهاية الأمس " لعبد الحميد بن هدوقة فهو يدور أيضا حول الوطن والحرية ، يجري الحديث بين شخصياتها حول الهدف الذي من أجله يسعى الجزائري ويكافح و هذا الهدف العظيم هو الحرية .

إذ ورد في الرواية حديث بين رجل وزوجته يقول : "إن الجزائر ستتحرر، يجب أن تدركي معنى هذا الفرق ، إنه من أجل أن نحيا حياة أخرى لم يعرفها وطننا ، حياة لا يبقى فيها الأجنبي سيدا ". [3]

كان هذا الزوج يتحدث وزوجته تبكي ،"و كان يشعر أن ذلك البكاء يحفزه أكثر على الإقدام والتضحية والموت والحياة والأمس والغد " .[4]

وحول الوطن يدور موضوع رواية "ما لا تذروه الرياح " لعرعار محمد العالي وحول الثورة تجري أحداثها إضافة إلى التضحيات التي قدمها الشعب الجزائري في سبيل الوطن الذي يتحمل العذاب من أجل الحرية و يحلم في أن يمحق العدو .

(*2*) ينظر ،"السرد الروائي بين لغة التحرير ولغة المشافهة ". محمد ساري ، مجلة الحداثة ، السنة السابعة العددان *55* و *56* ، *2001* ،ص*83* .

(*3*) نهاية الأمس .عبد الحميد بن هدوقة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط *2* ،*1978* ، ص *36* .

(*4*) المرجع نفسه . الصفحة نفسها .

وهذا ما تردد على لسان البشير : "سأتغلب عليهم جميعا ... نعم سأسحقهم ، وأنحيهم من طريقي ..." .[1]

لكن البشير هذه المرة لا تتاح له فرصة المقاومة داخل البلاد لأنه يقضي فترة الخدمة الإجبارية لكن هذا ما لم يكن البشير يحبذه ،تمنى أن لا يبعد عن وطنه ، لأنه بذلك سيبعد عن أرضه وأهله وماضيه ، وفكر في هذا الرحيل لفرنسا هل يستطيع بعده أن يقاوم ويثور .

وبعد تفكير البشير في كل ذلك شعر بعينيه تجهشان بالبكاء ونبضات قلبه تزداد فهو لم يحتمل هذا ويود لو لم يكن مقدراً عليه هذا فإنه حينما يرى نفسه هكذا يبتعد عن بلاده إنما يرى أهله يبعدون عنه ، ويرى ماضيه وذكرياته وأعماله كلها تذهب سدى.[2]

حاول البشير أن يصبح فرنسي الجنسية والتصرفات والشكل والحاضر حاول أن ينسلخ من أصله وتاريخه .

وظل في صراع مع نفسه حول هذا إلى أن استقر به القرار للعودة إلى رشده والوطن ، والتمسك به وبتاريخه وأصالته وعروبته وعقيدته ووطنيته.

(*1*) ما لا تذروه الرياح .عرعار محمد العالي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط *2* ، *1982* ، ص *37* .

(*2*)ينظر، المرجع نفسه ،ص *53* .

أما رواية "المؤامرة" لمحمد مصايف فهي تقدم صورة واحدة عن الوطن ومعاناة المواطن الجزائري من وطأة الاستعمار.فالكاتب يعمد في نصه إلى تصوير المعاناة التي يعيشها البطل أو المواطن الجزائري بصفة عامة :القمع ،التشرد ،الجوع ،الاستغلال ،الحقد العنصري وغيرها من الممارسات التي عرف بها النظام الاستعماري .[3]من أجل إعطاء صورة متكاملة لمعاناة المواطن الجزائري في ظل الاستعمار وممارساته .

والهدف من هذا التصوير هو خلق المبررات الكافية لتقبل البديل ،وما البديل إلا هاجس الالتحاق بالجبل ، ففكرة الانضمام للمجاهدين هي المخرج الوحيد الذي ينتظر كل مواطن غيور على وطنه .[1]

فالبديل الذي ينتظر الشعب الجزائري هو الثورة ،فهي الحل الوحيد ،وهي الهاجس الذي لا بد منه ،إذ أن هذا البديل كانت له مبررات قوية ،ومقنعة ،فالظلم الذي فرضه الاحتلال ،لا مخرج له ولا حل إلا الثورة ،والمقاومة ، والكفاح ،والجهاد.

ومن الروايات التي جعلت موضوع الوطن هو المحور الأساسي الذي تدور حوله أحداث ،رواية "ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي ،إذ تم سفر البطل "خالد" في ذاكرة التاريخ ،ويبقى هاجس الذكرى يطارده ،إذ يتذكر

(*3*) ينظر، الرواية والتحولات في الجزائر (دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية). مخلوف عامر ،اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،د ط، *2000* ،ص*18* .

(*1*) ينظر، الرواية والتحولات في الجزائر (دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية). ص*18* ، *19* .

أيام الثورة وجهاده ونضاله إلى جانب "السي الطاهر" الثوري المناضل ،ضد المحتل وقد بترت ذراعه في الحرب.

يتابع ،ويستمر خالد في انتزاع لحظات الذكرى من ذاكرة التاريخ ،فيستعيد تواجده بسجن الكديا رفقة "السي الطاهر" ،وعندما يعود إلى الثانوية يجد بعض رفاقه المتغيبين ،فهم إما مساجين أو شهداء ،فقد راهن البعض على خيانتهم – فقط – لأنهم اختاروا الثقافة الفرنسية في مدينة لا يمكن لأحد فيها أن يتجاهل سلطة اللغة العربية وهيبتها في القلوب والذاكرة ،فهل من العجب أن يتمتع هؤلاء بوعي سياسي مبكر ،وبفائض وطنية ... وفائض أحلام.[2]

أما "أحلام" وهي من شخصيات الرواية ،ترغب في أن تعرف عن والدها ما لا يعرفه الآخرون "فما فائدة أن تعرف عن ما يعرفه المارة والغرباء"[3] ،تحاول أحلام هنا توضيح صورة والدها طامحة في أن تعرف ما لا يعرفه الناس.

فالفتاة تريد أن تعرف هذا الرجل – والدها – العادي صاحب تفاصيل غير عادية ،فهو من الأبطال الذين ينتصرون على العدو، ولكن ينتصر عليه الشوق والحنين لابنته ،العائلة.

(*2*) ينظر ،ذاكرة الجسد .أحلام مستغانمي ،موفم للنشر ، د ط ، *1993* ،ص*37* .
(*3*) المرجع نفسه .ص *120* .

أجاب خالد أحلام عن سبب مجيئه إلى فرنسا قائلاً:"قررت أن أخرج من الرداءة من تلك الكتب الساذجة التي كنت مضطراً إلى قراءتها باسم الأدب والثقافة ،ليلتهمها شعب جائع إلى العلم"[1]

ينظر خالد قائلاً:"كنت أشعر أنني أبيعه معلبات فاسدة مر وقت استهلاكها ، كنت أشعر أنني مسؤول ...عن تدهور صحته الفكرية ،وأنا ألقنه الأكاذيب بعدها تحولت من مثقف إلى شرطي حقير يتجسس على الحروف كلمة هنا وأخرى هناك"[2]

لهذا السبب قرر خالد الهجرة والاغتراب واختار الابتعاد عن الجو العفن والمياه العكرة وقرر ألا يشارك في مجزرة ثقافية.

وقد حدث خالد أحلام عن أحلامه وطموحاته قائلاً:"كنت ممتلئاً كذلك بالمثل والقيم والرغبة في تغيير العقليات والقيام بثورة داخل العقل الجزائري الذي لا أريد أن أسميه الثورة الثقافية بعد ما لم تعد هاتان الكلمتان مجتمعتين أو مفرقتين تعنيان شيئاً عندنا ". [3]

أما " زياد" فهو شخصية فلسطينية ،لما زار باريس ،تساءل خالد عن سبب زيارته، وفي نفس الوقت يجيب نفسه :ربما جاء ليقوم ببعض

(1)ذاكرة الجسد .ص 168 .
(2) المرجع نفسه .ص 168،169 .
(3) المرجع نفسه.ص 120 .

الاتصالات السرية... كان يتحاشى أخذ مواعيده على الهاتف ولم أطرح عليه يوماً أي سؤال

حول سبب زيارته لباريس كان هناك شيء من بقايا فترة كفاحية في حياتي أحترم سره وكان يحترم صمتي [1] ،ولكن الفاجعة كانت كبيرة لما توفي زياد.

وعن عرس أحلام الذي حضره يقول خالد ،أن من الحضور ،أصحاب "البطون المنتفخة ... والسجائر الكوبية... والبدلات التي تلبس على أكثر من وجه ...أصحاب الحقائب الدبلوماسية ،أصحاب المهمات المشبوهة ،أصحاب السعادة وأصحاب التعاسة...وزراء سابقون... مشاريع وزراء ،سراق سابقون ...ومشاريع سراق".[2]

تعد هذه الرواية وثيقة تاريخية وسياسية واجتماعية وثقافية للمجتمع الجزائري لكونها تعرض أحداث و مجريات الواقع الجزائري .

كان سجن "الكديا" وقتها ،ككل "سجون الشرق الجزائري يعاني فجأة من فائض رجولة ،إثر مظاهرات 08ماي 1945 التي قدمت فيها قسنطينة

(1) ينظر ، ذاكرة الجسد . ص 235 ،234 .
(2)المرجع نفسه. ص 464.

وسطيف ونواحيها أول عربون للثورة متمثلا في دفعة أولى من عدة آلاف من الشهداء، سقطوا في مظاهرات واحدة وعشرات الآلاف من المساجين".[3]

أما بالنسبة لثقافة الطالب الجزائري أثناء الاحتلال نجد في هذه الرواية ذلك أيضا، فمن هؤلاء الطلبة من سجن و من عذب بعد تلك المظاهرات التي قام بها الكثير منهم هم الذين كانوا بحكم ثقافتهم الغربية يتمتعون بوعي وطني [4].

نلاحظ أن ما جاء في هذه الرواية هو عرض للمعالم الوطنية بكل الأوجه ،وبمختلف الأشكال ،إذ تتمسح الأحداث التي عرضت لها الرواية بمسحة ثورية وطنية ،وبروح نضالية ،كفاحية ،مجاهدة ،ومدافعة ،ومنافحة عن الوطن .

وفي حديث لواحد من معطوبي الحرب التحريرية يقول :"كان جرحي واضحاً وجرحك خفيفاً في الأعماق ،لقد بتروا ذراعي وبتروا طفولتك ،اقتلعوا من جسدي عضواً وأخذوا من أحضانك أباً كنا أشلاء حرب ... وتماثيل محطمة داخل أثواب أنيقة لا غير".[1]

(*3*) المرجع نفسه .ص *36*.
(*4*) ينظر، المرجع نفسه .ص*464* .
(*1*) ذاكرة الجسد ،ص *119* .

وجاء في الرواية ما يعبر عن الوضع السياسي العربي ،وذلك في هذا القول :"يقضي المواطن سنواته الأولى في تعلم النطق ،وتقوم الأنظمة العربية في تعليمه بقية عمره ،الصمت".[2]

بناءً على ما سبق ،يلاحظ أن الرواية تكشف عن الجانب الثوري والوطني من خلال المظاهر النضالية والكفاح المسلح ضد المحتل وكذا التضحية من أجل الوطن .

وهناك إشارة للأوضاع السياسية العربية ،إذ لاشيء تغير لم يسقط أي نظام عربي واحد من تلك الأنظمة ،لم يحدث أي تغيير في ملامح الأمة فقط لبنان يعاني من الدمار والتغيير المستمر والأحداث العنيفة .[3]

إلى جانب هذا ،هناك وجه حزين للوطن الذي يلقى الغدر من أبنائه "أولئك الذين عين معظمهم في الخارج في إطار رد خدمة بين اثنين ،أو في إطار وساطات ولعبة تكتيكات وتقسيم غنائم في الخارج بعدما تقاسموا الوطن وليمة بينهم في الداخل".[4]

وهنا تتحدث الكتابة عن أولئك الذين يخونون البلاد وينهبون الوطن ،وينهشونه بكل وحشية ،إضافة إلى هذا ،فأحلام تحدثت عن كثير من

(2) المرجع نفسه ،ص34 .
(3) ينظر، المرجع نفسه .ص 225 .
(4)المرجع نفسه .ص 268 .

المواضيع في روايتها ،تحدثت عن الوطن والثورة ،عن لبنان ،و تحدثت . أيضاً . عن الأوضاع

السياسية ،بالإضافة إلى الأوضاع العربية ، و الاقتصاد أيضاً ،أضف إلى ذلك فالكاتبة تعرضت إلى الظواهر الاجتماعية المُتَرَدِّية ،وكذا الثقافة .فقد تحدثت عن كل شيء جميل وسيء في هذا الوطن .

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

المبحث الأول : وعي المجتمع وتواصله مع الثورة.

المقصود بالبعد الوطني هو ما يرمي إليه الكاتب مما يتعلق بالأمور التي تخص الوطن والثورة ويتجلى البعد الوطني في هذه الرواية من خلال عدة أمور منها دعم المجتمع وحبه للثورة فالشعب الجزائري شعب واعي ومدرك لقضيته الوطنية ، ولديه نضج وطني وثوري ،إذ هو على استعداد لإمداد الثورة ودعمها مادياً ومعنوياً ومساعدتها بتزويدها بالأخبار والمعلومات ،بالإضافة إلى حب هذا الشعب الكبير للثورة والثوار وشغفه واعتزازه بهم .

1) دعم المجتمع وحبه للثورة :

تواجد الوعي لدى المجتمع ونضجه واستعداده، حوافز ودوافع أهلته لأن يدعم الثورة حتى أنه لما كان المجاهدون يزورون منزلا بغية التزود أو الراحة فإن صاحب البيت يفتخر بذلك، وتأخذه نفسه بالعزة والفخر ومن ذلك ما ورد في الرواية على لسان "توفيق" بطل الرواية : "اسمحوا لي بالعودة إلى المنزل ، فوالدتي تنتظر، لأننا نترتقب ضيوفا سيحلون بمنزلنا

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

هذه الليلة ... وهم أن يكشف عن هوية هؤلاء الضيوف ،وأن يتبجح إزاء فريدة مفتخرا بنفسه وبأمه ... ومن لم يكن في أثناء الثورة يملأه التيه ، وتطغى عليه الأبهة إن زاره المجاهدون ؟". [1]

كان يود أن يقول "توفيق " "سيزورنا فوج من المجاهدين فيقضي عندنا الليلة، ثم يواصل السير إلى بلاد الجزائر العزيزة، مارًا عن طرق الأسلاك الشائكة المكهربة التي تنيف عن سبعة خطوط، والتي ما كانت لتقف حائلا دون إدراك المجاهدين مآربهم، وبلوغهم مراميهم" [2] ،وقبل المضي في الحديث ، لابد من إعطاء ملخص عن الرواية إذ أن بطلها "توفيق" ، الذي تمتلكه رغبة جامحة في الانضمام إلى صفوف المجاهدين من أجل المشاركة في الثورة ، لكن حبه لإحدى الفتيات كان يضعف عزائمه ، ولكن واجبه الوطني تغلب على عاطفته.

وتحققت أمنية "توفيق" بالذهاب والانضمام إلى صفوف الجيش واستطاع الذهاب إلى مأوى المجاهدين ، وشارك – أيضا – في الحرب، وبعد مدة ظن فيها أنه استشهد ،عاد إلى أسرته التي تيقنت من وفاته ، وخالطها اليأس من عودته .

---

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس ، محمد مرتاض ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، طبعة 1999 ، ص 32

(2) المصدر نفسه .ص 32

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

ومن صور دعم المجتمع وحبه للثورة أن الجزائريين كانوا إبان الثورة "يفهمون بالإيحاء ويدركون الغرض باللمح الخفيف أو الإيماءة ،ولو لم يكونوا على هذا النحو من الاستعداد والذكاء لما كان لتلك الثورة الجبارة التي أدهشت العالم أن تنتصر ".[1].

وعن مجاهد اختفى طويلا ، يدعى "سي أحمد" جاء في وصفه وفي وصف تكتمه:"لم يكن يتكلم عن المدة التي قضاها في الجبال ، ولم يكن ليكلم أحدا في شأن الجيش وتنظيماته عدده وعدته ، تحركاته ومأمونة مراكزه ومعاركه...إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة التي كان يعجب بها الصديق ويعجب منها العدو ".[2]

ويضيف الكاتب شارحا كلمة النظام التي كانت تستعمل آنذاك ،فمدلولها خاص يفهمه القارئ الثوري الذي عايش أيام الثورة .

ولكن كلمة النظام عسيرة الفهم " على الذين جاؤوا بعد الثورة المباركة ... كانت جبهة التحرير تعرف بمصطلح النظام لدى العامة ، فكانت هذه الكلمة تردد في الاجتماعات السرية المختلفة"[3]، فالكاتب يرى أن هذه الكلمة عسيرة الفهم على الذين أتوا بعد ثورة التحرير.

---

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 32
[2] المصدر نفسه .ص 33
[3] المصدر نفسه ،الصفحة نفسها .

ومن حب الشعب للثورة والثوار ما كان يدعمهم به ، ويزودهم به من طعام ،وضيافة وإيواء ،وحماية للمجاهدين إذ ورد ذلك في الرواية على لسان "توفيق" بالإضافة إلى النعوت التي جاءت واصفة المجاهدين .

كان المجاهدون لا يقوون على التحرك نتيجة ما "يحملونه من ذخائر ، وما يطوقون به ظهورهم من معدات لتزويد بعضهم بعضا عند الحاجة ... كانوا كلهم يتقدون حيوية ونشاطا ...تخالهم أسودا وتحسبهم نمورا ينقضون على الأعداء ، ويمزقون أشلاء هم إربا .. كم من مرة زاره المجاهدون قبل الآن ولكن والدته كانت كل مرة تحظر عليه الالتقاء بهم " (16)

يواصل "توفيق "حديثة عن المجاهدين قائلا "إنها تخشى إنشاء الشر ، ترتاب به ويتسلحون إلا أن توفيقا لم يعد صبيا ... هو الآن غلام ، وكاتب الفوج في المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني ، فما الذي يمنعه من رؤية المجاهدين هذه المرة والتحدث إليهم ؟ ... هو يتوهم توهمات مختلفة ."[2]

يلقى "توفيق وابلا من الأسئلة حول الثوار ،وحول أوصافهم مستفسرا :"من هم المجاهدون ؟ كيف وجوههم ؟

---

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس .ص 34
[2] المصدر نفسه .ص 34-35

– ماذا يرتدون من الملابس ؟ – بماذا يقاومون الاستعمار ؟ بأسلحة أم بعصا وبحجر فقط ؟ – هل حقيقة تفيض وجوههم بالبشر والحبور كما ذكرت لي أمي ؟ تحرق كثيرا إلى إخوانه المجاهدين " .[3]

هذه العبارات والجمل تصف شعور "توفيق" ورغبته الجامحة في الانضمام إلى المجاهدين ، والمشاركة في الثورة ، وتصور أيضا حب توفيق للثورة والثوار.

والكفاح –آنذاك – كان جماعيا ، إذ شاركت فيه كل فئات الشعب الجزائري ، فكيف لا يشارك "توفيق" في هذا النضال ، وهو في مقتبل العمر ، فالكفاح لا يعرف الاستثناء الكل يريد الحرية والكل يرمي المشاركة في الثورة .

وما الكفاح الجماعي للشعب في :"مدنه وقراه ، نسائه ورجاله إلا دليل على ما كانت تتمتع به تلك الثورة من تأييد ،وما حفلت به من اهتمام وما أحدثته من المفاجأة العارمة في النفوس " .[1]

يضيف الكاتب عن "توفيق"وهو في صحبة المجاهدين ورفقة ،إذ يسوق إعجابه بهم ،وتعلقه بمثله الأعلى واصفا ما يقع منهم في نفسه ،رهبة منهم :"قضى في صحبتهم ليلة بهيجة .. كان يسترق السمع وهو معجب

---

[3] المصدر نفسه .ص 35 .
[1] الأدب الجزائري المعاصر ، محمد صالح الجابري ، دار الجيل الطبعة 1 ، 1426 ه -2005ص134

بحكاياتهم واستعدادهم وهممهم العالية ...أحس أن الرجل الواحد يوازي عشرة من جنود العدو ... نظروا إليه نظرة فيها معنى مقصدهم .. ليسوا في حاجة إلى تفسير أو إيضاح أنهم ... يحذرونه إفشاء السر ".[2]

يودع المجاهدون توفيقا وأمه ، وحلم لو كان معهم ،وتمنى الالتحاق بهم" تمنى لو كان بينهم في هذه الآونة ومن الذي يمنع من ذلك .لم لا يصحبهم؟ ...لم لا يرتدي بدلة قماشية خضراء أو زرقاء أو هي خليط منهما معا ،كتلك التي يزين بها المجاهدون ،...لماذا لا تكون له بندقية ،رشاش مسدس ،مدفع رشاش؟ ..بل مدفع هاون ،حتى يقضي على الكلاب الضارية الجائعة التي نجست أرض الجزائر الطهور ،وانتهكت حرمات مقدساته ،وعاثت في ربوعها الغالية فساداً؟ لم لا ...لمه؟".[3]

فالشعب الجزائري بكل فئاته كان يعتزم المشاركة في الكفاح، فالحرية والاستقلال هما هدف الجميع.

وتصور الرواية المجتمع تصويرا واقعيا ،إذ تحدد بشكل دقيق بعض الظواهر ، فمثلا تصنف الأشخاص الذين يسألون عن أمور المجاهدين بشكل مقلق ، ومؤرق ،بالإضافة إلى أن الرواية تصور المجاهدين تصويرا مثاليا .

(2) وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 35 .
(3) المصدر نفسه .ص 36

بالإضافة إلى وصف المجاهدين بالقوة البالغة والبأس الشديد ،هذه القوة التي جعلت الواحد منهم بعشرة أعداء ،وهذه الصورة المثالية للمجاهدين تقابلها صورة غير مثالية في المجتمع أي أن المجتمع فيه أمور واقعية سلبية إذ أن هناك من يشك ويرتاب من الأعمال الجليلة التي قدمها المجاهدون فجاء في الرواية عن "سي احمد" الذي بدأ يخرج إلى الناس ولكن يتحدث إليهم في حذر عن المدة التي قضاها في الجبال ، وعن الجيش وتنظيماته، وعدده وعدته ، تحركاته ومؤونته ،مراكزه ومعاركه ... إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة ... ولقد كان "سي احمد " هذا على حق حين اعتصم بمنزله لا يبرحه ،وبغرفته لا يريمها إذ ما كاد يخرج على الناس حتى انهال عليه الفضوليين بوابل من الأسئلة والاستفسارات منهم من كان صدوقا ، ومنهم من كان شاكا مرتابا " [1]

وللالتحاق بصفوف الجبهة كان على المناضل أن يحصل على سلاح ،أو قنبلة ...إذ أنه لا يقبل دون ذلك وهو :"مطالب بغنم سلاح إذا ما وقعت معركة أو اشتباك هو بهذا يبرهن على شجاعته التي لابد أن تكون كبيرة من أجل الحصول على السلاح ... وعندئذ تصير له مكانته بينهم بعدما فرض نفسه يالجرأة والبسالة والإقدام ".[2]

---

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس .ص 36 .
[2]) المصدر نفسه.ص37

وإرادة توفيق قوية في الحصول السلاح وعزيمته صلبة في مقاومة العدو ورغبته كبيرة في الالتحاق بالمناضلين ، والانضمام إلى صفوف المجاهدين .

ومن أجل ذلك عزم أن يفعل شيئا "يكمن في شجرة بلوط ، ينتظر فرقة في أربعة جنود فحسب .. حمل معه حجرا كبيرا يشبه القنابل ... وضعه في جيوبه ...فعل ذلك قبل طلوع الشمس حتى لا يفتضح أمره؟... بقي ينتظر يا لسوء الحظ؟... غيرت الدورية الطريق ".[1]

لكن ظل سر التحاق "توفيق" بالجبل بينه وبين نفسه فغاب عن أمه وهو جالس معها ، ابتعد عنها "بتخميناته وأفكاره... راودته أحلام ... كيف سيصنع بالعدو ... كيف سينبطح ويلقي بقذائف مدفعه على المخابئ والمراكز ... خابرته نشوة الانتصار ،لذة صياح الجنود المرتزقة ،وهم يغربون عن وجهه مولين الأدبار ،وهو يتعقبهم بما يملك من سلاحي الإيمان والبسالة".[2]

فالهدف الأكبر ، والأسمى والأعظم ،والذي يبغي البطل توفيق تحقيقه ،ويتوق لإنجازه هو انضمامه لجيش التحرير ،رغبة في القضاء على

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس. ص37 .
(2) المصدر نفسه.الصفحة نفسها .

العدو وتفنيده ، وإخراجه من البلاد ،وتحريرها ته الأرض من سيطرة المحتل ،بالاستعانة بسلاح الإيمان العميق بالحرية والانتصار .

وبدأ هوى الذات بالتسلل إلى نفس توفيق إذ تذكر تلك التي يريد الاقتران بها ،فوبخته نفسه بشدة قائلة له: إنك لغبي حقا ... كيف تهجر تلك التي أحببت وهويت ،بل كيف تعرض نفسك لخطر الموت ،في الوقت الذي تستطيع أن تبقى فيه إلى جانبها، ولا تتخلى عنها.[3]

وقد لاحظت والدته شروده عنها ،فاستفسرته ،فزعم لها أنه يفكر بهؤلاء الأبطال الذين قد يذهبون ضحية الواجب ،ولن يرى منهم واحدا بعد هذا اللقاء ،فتحسرت أمه بدورها ، وتأوهت قائلة :" لينصرهم الله يابني ويكلأهم بعنايته ... هم محفوظون ،لأنهم لا يرومون إلا استرجاع حق قد اغتصب ،وشرف قد اهدودر ، وكرامة قد ديست قال لها دون معنى: صدقت" .[1]

لكن بالرغم من ذلك لا يرى توفيق في منامه إلا الثورة والكفاح ، والنضال إذ" استسلم لنوم مفعم بحلم لذيذ نقله إلى الجبال بمعية المجاهدين .. ورأى نفسه كيف أنه صغير وهو بصحبتهم ينجز ،يوشك أن يلحق

(3) ينظر ،المصدر نفسه ،ص 38.
(1) وأخيراً تتلألأ الشمس. ص38 .

بخطواتهم ..أجهد نفسه وشق عليها ،فألفاها بين مخاطر محدقة ومهاول محققة لا ينجيه من الغرق فيها إلا الجرأة والإقدام والبسالة". (2)

لكننا سنرى هذا البطل وقد استطاع أن يغلب واجبه الوطني المتمثل في العمل على الالتحاق بالثورة وبالتالي انكسرت أواصر التعارض بين هوى الذات وهوى الواجب الوطني ،ثم الوصول إلى التكامل بين العاطفة والواجب الوطني.

وحتى وإن تزوج توفيق من فريدة فإن ذلك لم يثنيه عن أداء واجبه الوطني ،لكن لم يمض شهر أو بعض شهر على زواجه حتى بادر توفيق إلى الانضمام لصفوف جبهة التحرير الوطني .

وفي وداعه لزوجته من أجل الالتحاق بالجيش يقول لها :"ما حيلتنا ووطننا يريدنا جميعاً أن نقوم بالدفاع عنه ... ما قولنا للحرية المفقودة وهي تنادينا كل يوم أن نسترجعها ...رفعت فريدة الحنون رأسها إليه ،وقالت في صوت يخنقه البكاء :لن أحول بينك وبين ما أنت عازم عليه ... أنا أيضا جزائرية .. الوطن أكثر احتياجا مني إليك .. ثم .. إن والدتي ستبقى وحيدة وستقتلها الوسائل الوساوس والهواجس". (3)

(2) المصدر نفسه ،ص29 .
(3)المصدر نفسه .ص 51 .

وشيعت الوالدة والزوج توفيقا أثناء رحيله ، وكان يمكن لهذه الزوج أن تعيق ذهاب زوجها من أجل الالتحاق بصفوف جبهة التحرير الوطنية ، لكن توفيقا "آثر طريق الجهاد على كل شيء ،وتزوج بالوطن ،بالحرية ،بالذب عن البلاد .. إنه يعلم أن واجب الوطن أغلى وأكبر وأعظم من دموع تنهل على الخدود ، تجف مع مرور الأيام بينما دموع الوطن تبقى أبداً مهراقة ،تجري من المآقي غزيرة ، فتشكل أودية عظيمة ،تتحول قبل ارتداد الطرف إلى دماء قانية ،تلوث جبين كل متوان عن التضحية."[1]

ومن أجل الحصول على سلاح قام توفيق باعتقال وجلب واحد من الذين اعتقد أنهم خونة ، وقاده إلى مقر الجبهة،ومن أجل التأكد من عكس ذلك فكر هذا المعتقل "العربي" حارس الغابة في حل ،وهو أن يوهم قائد الثكنة بأن يذهب ليوقع بمن يزرع الرعب والخوف في الغابة وهكذا وجدوا المجاهدين الذين قتلوا بعضهم، وأسروا بعضهم الآخر.[2]

وبحلول شهر نوفمبر 1959 خطب فيهم قائد الولاية بأنه من كان من المجاهدين لا يقوى تحمل الشدائد والصعوبات لكن لم يتركوه يكمل كلمته حتى صاحوا "الله اكبر فكلمة الاستقلال كانت عظيمة عزيزة على المجاهدين عزتها لدى كل المواطنين الجزائريين ....كان بعض السذج يحسب الحرية شيئا سماويا روحيا يقبل إلى عالمنا المادي هذا وهو يتبختر

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس ،ص52 .
(2) ينظر، المصدر نفسه.ص 54 .

في أثوابه البائسة ويختال في ملابسه الزاهية يمشي في تيه ودلال وقد ازين بالجواهر واللآلئ والعقود والأساور ".[3]

فالحرية غالية الثمن دفع من أجلها الجزائريين أرواحهم بغية التحرر والاستقلال وضحوا بالغالي والنفيس وتحملوا العذاب والمعاناة وقدموا كل شيء من أجل إخراج الاحتلال من هذه البلاد والعيش بعزة وكرامة على أرض حرة متحررة مستقلة.

2). وعي المجتمع بقضيته الوطنية:

الشعب الجزائري شعب واعي ومدرك لقضية وطنه الكبرى وهي الثورة حتى النصر والحرية والاستقلال أو الاستشهاد دونها .

ومن صور الوعي عند الشعب الجزائري بالقضية الوطنية دعمه للثورة وحبه لها ،وكذا حماسة كل مواطن من أجل المشاركة في الحرب التحريرية.

(3) المصدر نفسه ،ص55 .

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

لم يستطع" توفيق" حبس صراخه قائلاً للضابط بحماس وانفعال :" كلا يا سيدي بل إني إن شاء الله لمن المجاهدين ... ابتسم الضابط ابتسام الرضى والإعجاب وأثنى عليه ليبارك الله في أمثالك ... وإلى الأمام".[1]

حتما إن وعي المواطن بقضية وطنه هو وعي عميق بضرورة الالتزام بقضايا الوطن والالتزام بحبه إذ أن هذا التعلق بالوطن أصيل وأثيل؛ و للاستزادة يمكن عرض هذا المعنى بتعزيزه بما جاء في المصادر العربية ، فالتوطن من "وطن البلاد بمعنى أوطنها واتّطن هذه البلاد استوطن هذه البلاد ".[2]

والكاتب جعل هدفه من هذه الرواية التطرق لهذه القضايا :من وعي لدى المجتمع ، و حب الوطن والدفاع عنه، وكذا التزام الشعب بقضيته الوطنية ، فهاته المعطيات والأفكار تشكل في مجموعها البعد الذي يرمي إليه المؤلف من وراء طرح هذا العمل الروائي ، والبعد هو ما تعكسه الرواية من قضايا و أفكار و إشكالات ، أي ما بعد الرواية والبعد في المعاجم "خلاف القرب"[3] ،وقد جاء في القران الكريم **قوله تعالى :**

{وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ} [4]

---

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 37 .
(2) ديوان الأدب (معجم لغوي تراثي) أبو إبراهيم الغارابي ، تر و تح :عادل عبد الجبار الشاطبي ، مكتبة لبنان ناشرون ،د ط ،2003 ،ص675.
(3) لسان العرب ،ابن منظور ،دار بيروت للطياعة والنشر ، بيروت ، ج3 ، ص 89
(4) سورة سبأ ، الآية : (53)

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

وعن الوعي بالقضية الوطنية الذي يخلق وضعاً من الالتزام العميق بالقضية أن قام توفيق بالكفاح والعمل الثوري والجهاد إذ أخذ توفيق تدريبا خفيفا ... كيف يفكك سلاحه ... كيف ينظفه... وكان سلاح الجيش آنذاك لا يعدو بنادق البلج والإسبان وبعض رشاشات الألمان ،ورشاشات الفرنسيين ، وهي في مجملها من الغنائم التي كان جيش التحرير يستولي عليها عقب كل معركة "[1].

الوعي الوطني بالتمسك بالأرض والدفاع عن الوطن تجلى في العمل الثوري الميداني ، الذي به قام "توفيق" إذ أن مراحل الوصول إلى هذا العمل الثوري انقسمت إلى خطوات ثلاث :

1. **صعوبة البدايات وثمرات الإصرار** :إذا أن بداية بطل الرواية في الالتحاق بالجبل كانت صعبة فقد عانى عدم وجود السلاح ، بالإضافة إلى الصراع بين مطالب الذات ومتطلبات الواجب الوطني .
2. **الجهاد بين الاختيار والإجبار** : إذ أن للمنخرطين في صفوف الجيش الحرية في الانضمام أو عدمه وليسوا مجبرين على الانخراط ، وقد عاش "**توفيق** " لحظات الاختيار قبل المشاركة ، إذ كان الصراع قائماً في نفسه بين مطالب الذات ، ومتطلبات الواجب الوطني ، لكن في النهاية كان مجبراً على الاختيار ، فاختار الوطن لأنه بحاجة إلى "توفيق" وأمثاله .

---

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص 57

3. **الشباب بين الشجاعة والاندفاع :** اتصف "توفيق " بشجاعته في عمله الثوري وليس الاندفاع دون تفكير ، أو رزانة أو رصانة ، أو تأني، بالإضافة إلى أن الشباب الجدد الذين يريدون الانضمام للجبهة يقام لهم اختبار، من أجل تمييز الخبيث من الطيب ، مثل اختبار حارس الغابة من أجل الاقتناع بوطنيته ، وكذا اختبار شجاعة "توفيق "التي تجسدت في القدرة على صنع الانتصار في هجوم لفرقة المجاهدين على مركز استعماري ، "انطلقت البنادق المتنوعة ، والأسلحة الخفيفة ترسل رصاصها المحمر القاتل ، في الوقت الذي كانت فيه مدافع الهاون تبعث بشظايا نيرانها لتقع قذائفها على جدران المركز فتحدث فيه الدمار وتحل به الموت الزؤام" [1].

لم ينسحب المجاهدون حتى أحلّوا به الدمار "وأحدثوا به خسائر فادحة ،وزرعوا في صفوف المتحصنين به الهلع الشديد ... أمر القائد بمغادرة المكان ... لم ينتبه توفيق إلى ذلك ...استمر يغني برشاشته ...لم يشعر إلا ويد الضابط تجذبه في شيء من العنف ،وصوته يتناهى إليه :- هيا انسحب يا توفيق ..حربنا تعتمد على الخدعة ، والسرعة "[2].

امتثل توفيق على مضض ، ولكن لا مفر من أن ينفذ وهو لا يفكر أنه أصيب "بنوع بالارتباك ، وهو يضع سبابته على الزناد لقد تخيل نفسه وقتئذ أنه صار طائراً في الجو بلا جناحين ومع ذلك بقي معلقاً بين السماء

---

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس ،ص 59 .
[2] المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

والأرض لا يدري ماذا يصنع الله به في هذه المغامرة المرحة ؟ !...بهذا اعترف لإخوانه بعد أوبته في المعركة وهذه حالة في الواقع تحصل لكل واحد شارك أو يشارك لأول مرة في المعركة ".[3]

وهكذا نجح توفيق في الاختبار أثناء الهجوم على الثكنة العسكرية إذ كان الكاتب –هنا – يرسم لنا صورة المجاهد ،وهو في ميدان المعركة ،وهو في منتهى الشجاعة ، والقوة ، والاستبسال يحارب العدو ، ولا يرتد من هول المعركة ، من أجل دحض شك من يرتاب في هذا الأمر .

وفي أسئلة بينه وبين نفسه أعاد توفيق ، ما كان يقوله المستعمرون "من أن المجاهدون ... جنّ وليسوا إنساً ؟ ... وكيف لا يتساءل ويصاب بالذهول وقد رأى قذائف العدو تنصب عليه وعلى إخوانه انصباباً حين توجهوا إلى عملية عسكرية ... رأى هذه القذائف وهي تنفجر في الجو ،أو تنزل ثم تنفجر محدثة في الحالتين جميعا انفجارات مرعبة ، ومخلفة أضواء جهنمية في الأماكن التي تنزل بها " [1].

سمع"توفيق" الانفجارات وهي تدوي في كل بقعة"لم يتردد أن سأل أحد الرفاق من الذين كانت الحرب والتجارب قد حنكتهم:أليس لهذه المدافع

(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(1) وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 60.

القاذفة والسلاح الفتاك جدوى؟ أجابه رفيقه وهو يبتسم : لو كان يصنع شيئا للحظت أثرا لذلك كلما عاد مجاهدون من القتال " .[2]

كان توفيق يتفقد الصفوف بعد كل انتهاء من عمليته ولكنه لم يكن "يلحظ إلا جراحا في أوساط رفقائه واستشهادا لبعضهم". [3]

فهذا العمل الثوري الميداني الذي أنجزه "توفيق " برفقة المجاهدين ، دون أن يزعزعهم ، أو يؤثر فيهم شيئا أو يغير ملامحهم حتى، إنما هو نتيجة تمكن الوعي منهم بقضية الأمة الجزائرية ، والتي هي التحرر والحرية .

إذ أصبح الوطن هو الشغل الشاغل، وأصبحت الحرية هي تسابيح من حنايا الجزائر وأضحى الاستقلال هو المطلب، والمرمى .

(2) المصدر نفسه . الصفحة نفسها.
(3) المصدر نفسه . الصفحة نفسها .

3).التضحية لأجل وطن حر :

كانت التضحية أمراً مقضياً بالنسبة للجزائريين ، لا مجال للتفكير فيها ، بل هناك مجال للتطبيق فقط لا مجال لحرية الاختيار ،هناك اختيار وحيد هو النضال.

– تضحية المجتمع : و المتمثلة في تضحية أسر عدة **كأسرة** "الشيخ مبارك" و "أسرة توفيق ".

–التضحية الفردية : هي تضحية الزوج في غياب زوجها وتضحيتها كأرملة في غياب زوجها .

– وكذا تضحية الوالدة : في غياب ابنها ، وغياب زوجها، وقد كان غياب زوج "فريدة " هو غياب للأنس ،غياب للحماية .

فزوجة "توفيق" تقاسي الأمرين من الوحدة وتكابد "العذاب والغرام من العزلة ... وبلغ بها اليأس مبلغه ، فودت أن لو لم تلدها أمها حتى لا

تتعذب هكذا، ولا تتجرع كؤوس العلقم في صمت ...ولم يكن يفرج عنها ويبدد حزنها إلا ما كانت تسمعه من المذياع أو تقرأه في الجرائد ".[1]

وكانت فريدة تطمئن نفسها وتعزيها أن زوجها قد يكون حيا يرزق ، فهي تعرف كثيرا من المجاهدين كانوا هم الذين" أوقدوا شرارة الثورة عام 1954 ، ومع ذلك فهم مع من ينتظرون ، فلم يكن زوجها هو الوحيد الذي يختطفه المنون من بين المجاهدين بعدما ، اختطفته الثورة من ذراعيها ؟ ! ".[2] .

تناست فريدة وتجلدت ،وأشغلت نفسها "بتلاوة كتاب الله وبمحاولات شعرية كانت تتغزل فيها بزوجها وتمدح أحيانا الثورة الجزائرية ... لم تستطع أن تنسى فأقبلت على نسج جلابيب الصوف للجيران والأهل ... أثارت شجونها ... ما دهاها؟... أهي شجرة من أشجار الصنوبر أو السر ولا تلد أثماراً"[1] .

وهكذا تقضي "فريدة " عذاباتها بغشاوة من الحزن والهم والكرب وتغوص في القلق والاضطراب ، بسبب شكها الذي لم يقطعه اليقين بأن زوجها استشهد أومازال يصارع الظلم ويصارعه .

---

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص61
[2] المصدر نفسه ،ص 62
(1) وأخيراً تتلألأ الشمس .ص 62.

ويتضاعف حزن الزوجة أكثر حين " تخلوا إلى نفسها وتعيش في غرفتها المظلمة المليئة بالبق على الرغم من المحاولات التي قامت بها للقضاء عليه فقد أوقدت الدفلى لم تكن هذه الحشرات لتحول بينها وبين التفكير في زوجها وكل شيء يوحي إليها بأنه هو ، كل حركة تصل أذنيها من الخارج توهمها بأنه هو".[2]

ثم تأتي الأفكار السوداء التي توهمها بعدم جدوى هذه الحياة وأهميتها إذ كان المرء يشقى فيها ويتعذب ؟ تسأل الزوجة نفسها "أن هذه الحياة التي نشقى فيها ونتعذب ؟...لم كان جيلنا بالذات هو الذي يؤدي ضريبة الدموع والآلام والدماء ، ... ألم يكن في الإمكان أن ينتظر الزمان سنوات أخرى حتى ينقضي هذا الجيل التعس ؟ !..."[3].

تعود الزوجة بعد هذا إلى رشدها قائلة :"بل علي أن احمد الله أولاً ، لولا الثورة لما التقيت بتوفيق ، ولما عرفني ... ثم لا يهمني أن أشقى الآن ليستريح أولادي وأحفادي ... ".[4]

وهكذا تواصل "فريدة " بين القوة واليأس ، إذ عند سيطرة الهواجس عليها تذبل ،أما في لحظات تجلدها ، وصبرها وشجاعتها فهي تقوى .

(2) المصدر نفسه .الصفحة ص 63
(3) المصدر نفسه .الصفحة نفسها .
(4) لمصدر نفسه .الصفحة نفسها .

ولكن واقعية المجتمع تفرض عليها المعاناة عنوة إذ تسعى "فريدة" في شقاء من أجل التغلب على التعاسة والأحزان والآلام التي تسببها لها المضايقات لفريدة الطالبة للزواج بعد انتشار نبأ وفاة زوجها .

لقد فقدت الوالدة وحيدها وعلمت أن ابنها الغالي قد "استشهد في معركة ضارية ..وعند ذلك لم تجد أفضل من الوادي المجاور لسكنها .. كانت قد أمته زاعمة لكنتها أنها تبغي جمع الحطب .. وعلى مرأى من ضفتيه وعلى مسمع من خرير مياهه بكت ... ثم بكت لم تشعر أن أحدا ساعدها على البكاء أو رق لحالها."[1]

لكن رغم نية الوالدة في إخفاء الحقيقة على زوجة ابنها إلا أنها تفشت ،فغشيها الحزن وضاقت بها الأرض بما رحبت ،وصعقت بهذا الخبر الفاجعة.

وبعد مدة ، وبعد تفشي نبأ وفاة زوجها بدأت عروض الزواج تضايقها ، والأقوال تؤلف حولها ،إذ لم يبصروا هؤلاء الحقيقة الساطعة التي من أجلها استشهد المخلصون من أمثال توفيق ،الذين تفهموا واجبهم الوطني .

والذين قد ارتووا"من معين نبع التحرر الفياض وتشبعوا بمزايا التضحية من أجل أن يحيا الآخرون بشرا سويا لا يستعبدهم إنسان آخر مثلهم لحما

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس .ص 63.

ودما ،ولكنه أفضلهم قلبا وأقساهم معاملة،فيه نزعة شيطانية إلى الهيمنة والاستعباد والإذلال"[2]

ولم يمض على نبأ استشهاده قرابة العام حتى "بادر الناس إلى الحماة وإلى الأب طالبين يد "فريدة "،وهم متظاهرون بالبصيرة النافذة ،والعقل المتزن ،والتفكير الرزين "[3]، ولكن كان الصبر من شيم "فريدة" التي تتميز بالعقل المتزن والتفكير الرزين.

وكانت الزوجة ظاهريا تتحدى القوم ،و"تعصف بعواطفهم ومشاعرهم،لكنها في وليجتها كانت توطئ نفسها على الصبر ،وتحدثها بأن الاستقلال لما يظل أوانه بعد ،وما يدريها أن هذا الخبر كذبة أبريل وأن زوجها حي يرزق".[1]

كانت توهم نفسها بالإيحاءات الكاذبة وبالمناجاة الخيالية،من أجل أن تخفف عنها هول الصدمة ،وتعزي نفسها بأنها زوج شهيد،وتعوض إحساس الألم بإحساس الفخر،والاعتزاز.

وما يلاحظ في الرواية أنه حتى الطبيعة والجماد تفاعلا مع الثورة ،إذ أخذت المدافع الرشاشة تغني بلحن يطرب المجاهدين،ويرهب المستعمرين ...هذه المدافع مما وقع غنمه في المعارك،"وهي على شكل الرشاشة

(2) المصدر نفسه .ص 68،69 .
(3)المصدر نفسه . ص 69 .
(1) وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 71 .

الصغيرة ،انطلقت البنادق المتنوعة،والأسلحة الخفيفة الأخرى ترسل رصاصها المحمر القاتل ،في الوقت الذي كانت فيه مدافع الهاون تبعث بشظايا نيرانها لتقع قذائفها على جدران المركز فتحدث فيه الدمار وتحل به الموت الزؤام" [2]

هذا عن تفاعل الطبيعة والجماد مع الثورة ،أما عن اندماج المجاهد في الطبيعة فنرى انشغال "توفيق" باحتضان الأشجار والأحجار وغيرها من مكونات الطبيعة .

فمنذ اليوم الأول انشغل "توفيق " بالجيش "وحب الوطن واحتضان الأشجار والأحجار ونسي حنان الزوج وأمومة الوالدة أو كاد فقد طغى هيام الوطن على كل هيام سابق ،وأزال من فؤاده كل صبابة تسكنه من قبل " [3] .

نامت "فريدة" فإذا هي ترى زوجها في المنام "متزينا بثياب خضراء قشيبة ... أرادت أن تدنو كان يطير بجناحين في الهواء كطائر جميل خفيف ... نادته ... فتحت ذراعيها لتحضنه ... لم يلبّ طلبها ، لم يحفل بندائها ، لم يكترث لحسراتها وآهاتها ... انطلق عاليا فظلت تشيعه ذاهلة وهو يتوارى عنها ".[1]

(2) المصدر نفسه .ص 68، 99.
(3) المصدر نفسه. ص 61.
(1) وأخيراً تتلألأ الشمس ،ص64 .

وظل زوجها يبتعد عنها ويتوارى حتى "عشي نظرها وكل بصرها ... صاحت. توفيق ... توفيق ....توفيق...استيقظت منزعجة على هذه الرؤيا لم تملك نفسها هذه المرة ... فسرت حلمها بنفسها ... انه استشهد ،وهو في الجنة يتنعم بالخلود !! ما أشقاها !...".[2]

في هذه الرؤيا الاستشراف والسبق للأحداث إذ أن خوف فريدة على زوجها جعلها ترى في مناماتها ما يزعجها عنه ولما رأت الرؤيا ، فلا وجه لتفسيرها إلا ما خطر في بالها ، وهو استشهاد زوجها ، نهتها حماتها عما هي فيه من حال وواستها.

أفهمتها حماتها أنه ينبغي لها أن تفرح ،أن تطرب ،أن تبسم ،كلما لقيت صويحباتها ، أن تسير مرفوعة الرأس عاليته ... ثم قالت لها في لهجة خافتة يغلف حواشيها الحنان : "ألم تقدمي مهجة فؤادك وشريك حياتك قربانا للثورة ؟ أحست فريدة براحة ، فألقت برأسها عليها والعبرات ما تنفك تخنقها ؟" .[3].

اغتنمت الحماة الفرصة بعد أن آنست منها طمأنينة ،وواصلت مواساتها قائلة لها :" اطمئني .. إنه لو استشهد ...قاطعتها فريدة محتجة مستنكرة، منتفضة من مكانها ،في ذعر منتصبة في ثورة : – لا ، لا .. لا

(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(3) المصدر نفسه ،ص 64-65

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

تقولي ما قلت ومدت راحتيها الناعمتين إلى فم الحماة تبغي إسكاتها ... نحتها عنها في هدوء ".[4] . قالت لها حماتها بكل حزنها العميق ، والداخلي ، وبكل انكسار واكتئاب :" أنا قلت ... قلت ...قلت حتى ... لو استشهد ! ... فان روحه زهقت في سبيل الله ودمه من أجل تحرير وطنه من الأنذال ! ...استحيت فريدة من نفسها ،ومن موقفها هذا فجففت عبراتها ،وابتسمت ابتسامة شاحبة ،تكدرها آثار الحزن والدموع ". [1]

في هذه الصور الحزينة الكئيبة، ترسم معالم وملامح المشهد المأساوي الذي تعيشه كل من فريدة وحماتها، إذ آثار الخدوش العميقة والأحزان المضنية، تنحر عميقا فيهما، بجروح لا تندمل، فهذه المشاهد ،هي صور للتضحية ، تضحية المجتمع الجزائري، بكل فئاته من أجل وطن حر، واستقلال أرض ،وكرامة شعب،وعزة مجتمع، من أجل جزائر العزة والكرامة، والمجد، والفخر والحرية، من أجل هاته الأرض التي تستحق هذه التضحيات.

(4) المصدر نفسه ، ص 65
(1) المصدر نفسه . ص 65.

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

المبحث الثاني : استقلال الوطن وحرية الشعب .

1) .الاستجابة لنداء الواجب الوطني :

لما نادت الجزائر أبناءها أقبلوا عليها يفدونها بروحهم وأموالهم ، وأنفسهم ، وحياتهم ،لم يتوانوا عنها ولم يخذلوها ، لبوا نداءها بكل إخلاص ووفاء وثقة قطعوا العهود لها ، ووفوا من أجل أن يطهروا أرض الجزائر من سيطرة المحتل الذي عاث فيها فسادا ،كانت نيتهم خالصة لله : الشهادة أو الاستقلال فاستجيب لهم ما طلبوا فمنهم من قضى أجله ومنهم من ينتظر ،وتعرض هذه الرواية مشاهد من أيام النضال ، يوم استجاب الشعب كله لنداء الوطن الأبي، إذ لم يرض هذا الشعب عن الحرية والاستقلال بديلا، لهذا الشعب أنفة، كبرياء، حرية وشهامة وكرامة وعزة ، بالإضافة إلى الدين، والإسلام، والإيمان، والمبادئ،لهذا الشعب عروبة ونخوة، كل هاته المعطيات جعلت من هذا الشعب شعبا غير قابل للاستعمار والاستعباد والسيطرة والاستبداد.

وبالتالي لا بد من الدفاع والذود عن الوطن لينال الحرية ومن هذا المنطلق تكشف الرواية جانبا من هذا الوضع .

فالشعب بكامله، بكل فئاته، بكل أجناسه، وطبقاته استنفر قواه واستجاب لنداء الواجب الوطني ، فالاستجابة لنداء الوطن كان هو الشغل الشاغل للجزائريين.

وجسدت الرواية هذه الأمور في عدة مواضع ، ومن ذلك أن جاء في الرواية على لسان "الشيخ مبارك " :"تركت كل شيء : الحبوب في المطامير ... الأثاث

كسر وألقي به إلى كل جهة ... حتى البغال التي كنت أعول عليها ... سعيد لأني ضحيت بمملكتي وبمنزلي في سبيل الجزائر ".[1]

إن عائلتي ليس فيها إلا الضعفاء " شيخ وعجوز وبنات ؟... إنها إرادة الله يا بني،هو الفعال لما يريد ثم التفت إلى توفيق والعبرات تخنقه، وقال بصوت متهدج"[2]

قال "الشيخ مبارك " لتوفيق في إيمان بالله واستسلاما له وفي رضاء لقضائه :" اللهم لا اعتراض على قضائك ، ولكنها رغبة الإنسان في الخلف

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص 27
(2) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها.

منذ الأزل إلى الزوال ... ألم يلتمس النبي زكرياء من الله أن يرزقه غلاما يرثه ويرث آل يعقوب ؟.."[3].

وهكذا يتضح من خلال ذلك أن أشخاص هذه الرواية لديها ثقافة إسلامية ، عربية وطنية ، تجعلها تتأسف على عدم قدرتها على دفع الأبناء للمشاركة في الحرب وهي أصلا ليس لديها أولاد لتزج بهم في الحرب ، وهذه أكيد أنها أفكار الكاتب ،وكيفية تفكيره ، بالإضافة إلى أن وصول التضحية إلى هذا الحد لا يدل إلا على عظم الاستجابة لنداء الوطن وهبة أفراد الشعب لأداء الواجب الوطني ، بكل نفيس وغال.

وما جاء عن شخصية " الشيخ مبارك " يدل على تمكن الكاتب من تحقيق انسجام داخل الشخصية بالواجهة ، فالشخصية المسلمة ، يظهر عليها ذلك في كلامها وتصرفاتها .

وقد استشف "توفيق " من كلام الشيخ مبارك أن ثقافته الإسلامية غنية ، وذهب به تفكيره في أن يكون قصد "الشيخ مبارك " من وراء كلامه ،هو أن توفيقا في ريعان شبابه ،ما الذي يمنعه من الالتحاق بالجيش "إن الجيش في حاجة إلى من هو مثله ... إنه بإمكانه تعليم إخوانه المجاهدين الأميين

(3) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

القراءة والكتابة ...طوّحت به الأفكار بعيدا كدأبه كلما فكر في الانضمام إلى الجيش التحرير ، ونسي ما كان يحادثه به جليسه".[1]

ومن الاستشرافات الموجودة في النص أن فريدة قالت في حديث مع أبيها وتوفيق عن الفقر وسوء المعيشة :"علي أن اشترط ذلك يوم ترتفع الراية خفّاقة وسأتقدم عندئذ إلى الدولة بمطالبي ... أما الآن ، فإني لاجئة ... نعم لاجئة... ولا شيء غير هذا..."..[2]

هذا الاستشراف للمستقبل ، وهذا التنبؤ ،وهذا الاستباق يدل على القراءة الواضحة للمستقبل ، ويدل على الإيمان القوي بالنصر والحرية والاستقلال وفي هذا الاستشراف نرى تأكد الشعب الجزائري من الحرية ، والاستقلال إذ لا محالة من أن يكون مآل هذا الوطن هو النصر والاستقلال ، ومما يستشف من هذا الاستشراف المستقبلي هو وضوح الرؤية ، فالشعب الجزائري شعب واعي ومدرك يعرف ماذا يفعل وما عليه فعله .

وكيف لا يستجيب الشعب لنداء الواجب الوطني وهو يرزح تحت وطأة الاحتلال ، ويتعرض لألوان العذاب والإذلال، والسجن والاعتقال في المحتشدات ، والتي يتعرض فيها الشعب إلى لفح الشمس، والجوع وجفاف الحلق عطشا ،لكن إيمانه الصلب بانتصار الثورة كان أكبر من هذا كله

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس.ص 27.
(2) المصدر نفسه ،ص 30.

وكان أعظم من هذا التمسك بحبل الله والاعتصام به، والأمل المتين والكبير في الله عز وجل وجلت قدرته ، في أن يخلص أفراد هذا الشعب من هذا العذاب والتنكيل ،والله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير[3]، فالإيمان بالله وبنصره هو الذي يلهم جلد الصبر ويقوي العزيمة، ويحث على الثبات.

فالله سبحانه وتعالى قادر على قلب الموازين وسحب البساط من تحت أرجل العدو وقادر على إرجاع أسفل الأرض أعاليها ، فهو الخالق والقادر على تدمير وهزم الاحتلال وتحرير أرض الجزائر الإسلامية .

ولم يمض الشيء الكثير على زواج "توفيق" "بفريدة" حتى أخبرها بضرورة ذهابه إلى أرض المعركة وبذلك استجاب لنداء الواجب الوطني من أجل تحرير الجزائر وبدأ ذلك عندما انخرط "توفيق" في الجبهة ولما أخبر زوجه بالتحاقه بصفوف جيش التحرير لم تستطع إخفاء قلقها لكن سرعان ما أعانته زوجه الواعية المدركة لحاجة هذا الوطن لأبنائه وأدركت ضرورة أن تعينه وذلك بأن تدعمه من أجل شد عزائمه، بغية الدفاع عن الوطن، الذي يغتصبه المحتل "فتوفيق" عزم على العمل الثوري والنضالي ، واضعا نصب عينيه الحرية والوطن والاستقلال وضرورة الدفاع عنه.[1]

(3) ينظر ،المصدر نفسه ،ص 42 ،43 .
(1) ينظر ، وأخيراً تتلألأ الشمس ،ص 50 ،51.

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

وبالرغم من صغر سن "توفيق" إلا أن رغبته كبيرة في المشاركة في صفوف الجيش مع أن القادة كانوا يفضلون الراشد المحنك لكن ، استطاع الالتحاق رغم المعارضة ،وفعل المستحيل وبذل الجهد من أجل الحصول على سلاح وقد كره أن يبقى دونه، يحمل ذخيرة فقط .[2]

يمثل "توفيق" نموذجاً للفرد الجزائري في حبه لبلاده وحبه للاستقلال والحرية ،ورغبة هذه الفرد في صناعة الانتصار وفي صنع قرار الحرية فالعوالم الإنسانية للفرد تمنحه القدرة على صناعة وتحقيق الاستقلال والاستقرار في البلاد .

إضافة إلى هذا ، فالإنسان الجزائري يخجل من أن تلحقه وصمة عار التخلي عن البلاد والتضحية من أجلها وذلك ما ورد في الرواية عن "توفيق" بأنه:" يعلم أن واجب الوطن أغلى وأكبر وأعظم من دموع تنهل على الخدود تجف مع مرور الأيام ، بل قد تنضب مع مضي دقائق وثوان ... بينما دموع الوطن تبقى مهراقة ، تجري من المآقي غزيرة فتشكل أودية عظيمة ، تتحول قبل إرشاد الطرف إلى دماء قانية".[1]

فتقوم هذه الدماء القانية بتلويث جبين كل "متوان عن التضحية وتلتصق بثوبه وتغشى عينيه ، فلا تبصران إلا غيوماً رمادية ، كثيفة

(2) ينظر ،المصدر نفسه ،ص 52 .
(1) وأخيراً تتلألأ الشمس ، الصفحة نفسها .

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

"دكناء ... كان في وسعه أن ينساق وراء العاطفة الجياشة فيقبع إزاء الزوج الحنون المتلهفة عليه والوالدة الرؤوم الحدوب عليه ، وهو الغلام المراهق الذي لم يبلغ سن الرجولة بعد". [2]

فسنه هذه ينظر إليها قادة الجيش أنفسهم بشيء من" الفتور لأنهم كانوا يبتغون الراشدين القادرين المحنكين ، ولكنه التحق بالرغم من المعارضين جميعا ".[3]

فهذا البطل لم تعيقه سنه الصغيرة في الانضمام لصفوف جبهة التحرير الوطنية بل يخجله أن يكون شاباً قادراً قوياً ولا يلتحق بالمجاهدين ، فهذا هو الذي لا يريده ، أما كونه صغيراً فهذا لا يعنيه المهم أنه يشارك ويحجز مكانه ضمن الجبهة وليس مع المتوانين عن تحرير الوطن .

ومن رغبة "توفيق " في الانضمام إلى الجيش أنه يتحرق للمجاهدين ، حيث جاء في النص عن هذا :" تحرق كثيرا إلى إخوانه المجاهدين ... لم يجد هذه المرة معارضة من والدته ... فقد غدا رجلا أو على الأقل شاباً مفتول الساعدين ... عقله رصين اشتهر برزانته بين الإخوان والجيران ... كيف تخاف عليه من الاتصال بالمجاهدين ؟!". [4]

---

(2) المصدر تفسه ، ص 52
(3) المصدر تفسه ،الصفحة نفسها .
(4) المصدر نفسه ،ص 35

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

ويواصل "توفيق" تفكيره في الكيفية التي يتحصل بها على السلاح، إذ يجعل بذلك موضوع الانضمام وحيازة السلاح هو الموضوع الذي يهيمن على كيانه ، ربما يكون ذلك مرده إلى أن توفيقا يتمتع بوعي وإدراك للواقع النضالي، و لديه أحلام وطموحات يريد تحقيقها .

ويمثل "توفيق" الإنسان الجزائري، الذي تفاعل مع الثورة وصنعها ، يمثل توفيق الجزائري المحب لوطنه، توفيق في نهاية كل هذا ليس أسطورة، "توفيق" قصة حقيقية وهو الشخصية البطلة في هذه القصة، والجزائر هي المكان والزمن هي سنوات حرب التحرير أما الأحداث، فهي الصراع بين الخير والشر، بين أصحاب الأرض ،والعنوان الذي يجمع كل هذا هو الوطن .

يواصل توفيق ثورته الثقافية أو ثورته الفسلفية فيقول ما جاء على لسانه في النص: "إني جزائري وهي أيضا جزائرية بالرغم من أننا متباعدان أصلاً ومنشأ ... أوه ... هذا لا يهم حسبي أنني جزائري ، بعد اندلاع الثورة لم يبق مكان لتلك الفوارق التي كانت كثيرا ما تؤدي إلى المشاحنة والخصام بين القبائل ".[1]

والثورة عند توفيق هي الشيء المشترك التي تذوب فيه الفوارق وتفنى وتتلاشى وتضيق فيه الفجوات ،ويوجد فيه الشعب وفيه تتحول الخلافات

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص 20

إلى مودة ورحمة وسكينة وتآلف أما الوطن فهو الذي يسكن كل مواطن ويسكنه .

ومن صور حب الشعب للوطن الغيرة على الثورة والثوار وحبه وشوقه لأخبارهم، وفي الرواية استفسرت عجوز مجاهدا كهلا عن كيفية عيشه في الجبال وعن استبساله وقوة عزيمته، تقاعد هذا الرجل في بيته نتيجة سعال أصابه ولم يفارقه ، وإذا بقي الرجل على هذه الحال، سوف يكشف أماكن الثوار للعدو لكن هذا الرجل "سي احمد " لم يكن يتكلم أو يخرج إلى الناس، أو يفشي لهم أسرار الثورة وتنظيماتها وعدد جنودها وسلاحها، ومن كان يزورهم وخططهم وقادتاهم[2]،فالكل كان يتعاون على نجاح الثورة، وتحقيق النصر .

وهذا المجاهد المخلص لم يكن يتكلم عن أي شيء يخص الثورة أو الجيش من تنظيمه ولم يكن يخوض في مراكز الثورة أو معاركها أو أي شيء يتعلق بالمجاهدين وأعمالهم ونظامهم. [1]

فالثورة هي كتلة من المعاني والصور، فهي الجهاد ، والغيرة على الوطن، وعلى الثورة والثوار وهي إرادة تغيير الواقع، الثورة هي العمل بإخلاص وتضحية من أجل الوطن الثورة تعني الشجاعة لا الاندفاع

---

[2] ينظر،المصدر تفسه ،ص 32-33
(1) ينظر، وأخيراً تتلألأ الشمس .ص 33-34

بحماس فيصاب هذا الحماس بالفتور ثم يخبو شيئا فشيئا، الثورة تعني الاستمرار بشجاعة وبخطى رزينة في مسيرة تحقيق الهدف المنشود، وهو الاستقلال والحرية، والعيش في ظل العزة والكرامة.

وواجب الكفاح والنضال هو نفحة من روح الوطن وقبسة من نوره ،هذا الواجب ليس له صورة واحدة، بل هو متعدد الأوجه والجوانب .

أما الواجب، والثورة فهما وجهان لعملة واحدة هي الوطن ،هذا الواجب يمثل الضمير الوطني، وصوره مستمرة حتى بعد الاستقلال، وإلى الآن مازال ،ستبقى هيبة الوطن محفورة في تجاعيد الذاكرة الوطنية، وذكرى التاريخ والزمن، فالجزائر تظل في ذاكرة كل مواطن جزائري .

وهذا ما عبرت عنه الكتابات الجزائرية خصوصا ذات المسحة الوطنية ، والروح الثورية وهذا ما تجسد في شخص "توفيق" الذي قدم نموذجاً للشخصية الجزائرية الثورية، مقارنة بالشخوص الروائية الثورية العربية ولا زال صدى كلماته يعبر عن موضوع الرواية هذه الكلمات اختصرها في عبارات الوداع التي ودع بها زوجه ووالدته قال :"...ولكن ، ما حيلتنا ووطنا يريدنا جميعاً أن نقوم بالدفاع عنه ؟... ما قولنا للحرية المفقودة

وهي تنادينا كل يوم أن نسترجعها ؟ ليس الآن يا فريدة ... الوطن أكثر احتياجا مني إليك ...".[1]

يبين هذا القول عن إدراك الإنسان الجزائري ووعيه بقضيته وواجبه ودوره حيال وطنه ، فما دام الوطن يريدنا فنحن أيضا نريد ما يريد، نريد أن نلبي النداء ويتساءل "توفيق" ماذا سنقول، وماذا يكون ردنا، والحرية تريدنا أن نخلصها من أسر المحتل والمعتدي المغتصب، ويضيف توفيق لزوجه أن الوطن بحاجة إلى دعمها ووقوفها أكثر منه هو، وفي هذا وضوح لمفهوم الوطن والوطنية، والثورة عند الإنسان الجزائري بحكم التجربة الوطنية، التي حنكت هذا الشعب وجعلته يتعلم ويستفيد منها .

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص 51

2). التحليق في حلم الاستقلال :

يعيش الشعب الجزائري في أحداث هذه الرواية الهيام والأحلام بتحقيق الحرية والاستقلال ،وتجربة العيش تحت كنف الاستقلال، في بلد حر، لم يبق للاحتلال سلطان، فالشعب أيام الاستقلال سيد نفسه، يحكم نفسه بنفسه، لا أحد يسيره ،أو يسير ثرواته فالوطن للجميع، هذا الجميع حرفي وطنه لا يبغي عنه بديلا ولا يتأتى هذا الحلم بالاستقلال إلا بالعمل الثوري الميداني الذي فعلا – يجعل من التحليق ،واقعاً حياً ،ملموساً، يعيشه الإنسان الجزائري .

وفي مناجاة "فريدة" زوج "توفيق" لنفسها في هذا الشأن، ،تذكرت أن عاما مر على ذكرى زواجهما، "فيا لها من ذكرى مشؤومة مليئة أحزانا وأشجاناً ...فبأي جديد ستعود هذه الذكرى في العام المقبل ؟ باستقلال

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

الجزائر التام وبالحرية الكاملة وبظهور الراية الخفاقة المرفرفة على ربوع وطني الحبيب ، أم بنعي زوجي الغالي وامتداد أجل الثورة ؟ ".[1] .

هذه الأحلام التي راودت "فريدة " هي أحلام مستقبلية استشرافية، تعبر عن رؤية للمستقبل في ظل معطيات الواقع، وهي رؤية متذبذبة، متأرجحة، أو هي أحلام متقلبة، بين وقائع معينة، ونتائجها، وبين أحداث مسطرة، وما سيعقبها .

فتتساءل "فريدة " عما سيقدمه العام المقبل، إذا كان هذا العام بهذا الحزن، هل ستزيد الجراح والآلام والأحزان والشجون، والشؤم.

هذا من جهة أما من جهة أخرى ،تضع فريدة احتمال الاستقلال التام، والحرية الكاملة ،هل سيحمل قدوم العام المقبل هاته الاحتمالات ،هل سترى الراية الجزائرية عالية على كامل التراب الوطني ؟ هل ستخفق هاته الرايات في وطن حر، مستقل ينعم بالسيادة الكاملة على نفسه وأرضه وأفراده وثرواته .

وتريد فريدة كغيرها من أبناء هذا الوطن الحرية التامة والاستقلال التام، يعني حتى الحرية الجزئية لا تريدها لأن ذلك لا يجدي نفعا، وكأن كل التضحيات التي بذلت من أجل الوطن ، كأنها ذهبت أدراج الرياح .

---

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص 63-64

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

وتواصل مناجاتها بالاختيار الثاني وهو أن يكون العام المقبل، عام نعيها زوجها ، وامتداد الثورة وفي هذه الجزئية نرى – بشيء من الملاحظة إن فريدة لديها، ما تريد تحقيقه، فهي تريد أن يعود زوجها ، فإذا لم يعد زوجها ،وامتدت الثورة، فتلك سعادة لأنها ستفخر بزوجها الشهيد ، رغم حزنها عليه أما إذا استشهد زوجها وامتد أجل الثورة، فتلك كارثة ومصيبة أعظم وأجل وآلم .

بالإضافة إلى ذلك ،"ففريدة" كأفراد الشعب الجزائري متيقنة من الحرية ونجاح الثورة ،ولا ارتياب أوشك يخالط النفوس الجزائرية في ذلك، فحتى هاته الاحتمالات كانت غير واردة ولو بفرض الاحتمال أو تجوال فكر، فالاحتمال القائم هو الانتصار فقط، وهذا يظهر من خلال أسلوب كلامها.

أما في موضع آخر من الرواية فقد جاءت عبارات الحماس والتعزيز والدعم :" لا تدهشوا ولا تفشلوا ... الله معكم ... والنصر للجزائر " [1]

وهذه العبارة أيضا تعلن الحلم الجميل أو الصعب والذي سيتحقق بالتأكيد ،وهو حلم الاستقلال ،وهو النصر الذي لا محالة منه ، ومن حلوله .

فالجزائر مغتصبة ، وحقها مهدر ،وحريتها مقيدة فكيف كل هذا الظلم ولا يأتي يوم على هذا الظلم فيمحقه الحق ، وكيف يكون هذا الاستبداد

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص 58

والإذلال ولا يكون الفرج والحرية والاستقلال ، صحيح أن ظلام الليل طويل ، لكن الأكيد أن ينتهي هذا الليل بفجر ، بأمل، فبطلوع هذا الفجر ، أخيراً تتلألأ الشمس وفي هذا التعبير تلويح بالاستقلال.

وورد في الرواية على لسان فريدة :" علي أن أشترط ذلك يوم ترتفع الراية خفاقة وسأتقدم عندئذ إلى الدولة بمطالبي ... أما الآن فإني لاجئة ...نعم لاجئة ... ولا شيء غير هذا " [1] .

هنا فريدة في حديث لها عن رغد العيش الذي تعيشه إحدى النساء اللاتي يتواجدن في القرية تقارن ذلك بفقرها ،وتريد أن تشترط يوم تتقدم البلاد بأن تعيش في سعة رزق وبأن تتقدم بمطالبها إلى الدولة .

ومن خلال هذا يتضح أن حلم الاستقلال يراود كل جزائري، ولا شك في أن هذا الحلم سيتحقق وهذا ما قصدته من خلال عبارتها يوم ترتفع الراية خفاقة .

[1] واخيرا تتلالا الشمس ، ص 30

3). العمل على تحقيق الحلم :

لقد عمل الشعب الجزائري بكل شرائحه وفئاته على تجسيد وتحقيق حلم الاستقلال وعمل من أجل إحراز النصر، وبذل هذا الشعب السعي الجاد والعمل الثوري، الذي فتح أمامه أفق النجاح، "فتوفيق" وأسرته قدموا التضحيات الجسام ككل أفراد الشعب من أجل الوطن ، فقد غاب عن والدة توفيق ابنها.

بالإضافة إلى تضحية "فريدة" بزوجها، و قد أفهمتها حماتها هذا الأمر و أنه ينبغي لها" أن تفرح، أن تطرب أن تبسم كلما لقيت صويحباتها، أن تسير مرفوعة الرأس عاليته ... ثم قالت لها في لمحة خافتة يغلف حواشيها الحنان:

- ألم تقدمي مهجة فؤادك وشريك حياتك قرباناً للثورة ؟" [1]

فهذه الشخصيات هي عبارة عن نماذج وأمثلة للجزائريين الذين ضحوا من أجل الجزائر، وبذلوا كل شيء من أجل حياة الحرية والاستقلال ، وقدموا الكثير عربون محبة الوطن، فوجه الوطن الحزين وهو يرزح تحت جرائم الاستعمار، جعل كل مواطن جزائري يشارك في تقديم العون وفي خلق التلاحم والانسجام الذي يوطد الجهود ويوحدها، للقضاء على الأجنبي الغريب .

ويواصل الإنسان الجزائري أحلامه الكبيرة والعظيمة إذ سعى إلى تحقيق الحرية والاستقلال ودحض الظلم ودفع الذل ورفعه وأحلامه فيها الواقع كما هو، فيها الحلم الذي تتخلله الابتسامة والحزن هي أحلام من لا يسكن الوطن ويسكنه .

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 61-65

ولا يهم هذا الجزائري إذا استشهد أم بقي على قيد الحياة ، إن كان ذلك من أجل تحقيق الحرية والاستقلال ،وطرد المستبد من الأرض الإسلامية والعربية وإحلال السلم والسلام والأمن والأمان .

وقد جاء في ثنايا هذا العمل الروائي الحديث عن الشهداء تكريماً للذاكرة الثورة ، إذ ورد على لسان الحماة مواسية زوجة ابنها في مصائبهما : إن " روحه زهقت في سبيل الله ودمه أزهق من أجل تحرير وطنه من الأنذال ".[1]

و في هذا السياق مرة أخرى يتبين أن الوالدة تعيد تذكير زوجة ابنها بأن عزاها في زوجها هو أن استشهاده في سبيل الله ، و تؤكد الحماة أن دم ابنها . لم يذهب هدراً وإنما في سبيل تحرير الوطن من الاحتلال .

وتبقى كل هذه التضحيات ذاكرة و شاهدة على التضحيات المبذولة من أجل الوطن ومن أجل تحريره ومن أجل رفع الراية الجزائرية فوق كل ربوع الوطن الجزائري .

ثم تواصل فريدة تذكير نفسها بما بعد الاستقلال وتفكر ماذا ستحمل لها هاته الأيام : " كانت تتعلل بهذا الأمل الواهي كلما خلت إلى وحدتها المعهودة ، وتناجي نفسها بأنها زوج شهيد ،و حرم الشهيد كانت وستظل

[1] وأخيرا تتلألأ الشمس ، ص 65

محارمه مبجلة في أعين الناس ، والدولة ، هي التي ستتكفل بها انفاقاً ورعاية عندما يبزغ نجم الصباح...".[2]

وهنا فريدة تناجي نفسها بالحياة السعيدة ، بعد الاستقلال ،وكيف أنها ستظل محترمة لكونها حرم شهيد، فالشهداء وحدهم لا يموتون ، ذكراهم تبقى دوماً حية ونلاحظ هنا أن وقار واحترام وحب الشهيد يبقى محفوظا.

وهنا مشهد آخر من مشاهد اليقين بالحرية والاستقرار والرؤية الواضحة للمستقبل المشرق واستباقة زمنية فيها من الأمل بقدر ما حمل المجهول للجزائريين في تلك السنون.

ستستمر فريدة في مناجاة نفسها قائلة عن دولتها المستقلة وحمايتها لها مما قد يحمله المستقبل المجهول :"ستحميها من أوباش البشر ... فماذا تبتغي أكثر من هذا؟ ... ويوم يستقل وطنها الحبيب، قد يتغير رأيها في الزواج ولكنها في الحالات جميعا لن تقترن إلا بمجاهد عاش في الجبل وقاوم وتعذب في سبيل بلاده ..".[1]

ويستمر الحديث عن تصور فريدة ووضعها بعد الاستقلال :" ستبقى وفية لمبدئها الأول ولو بعد عشرين عاما " .[2]

---

[2] المصدر نفسه ، ص 71

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس .ص71.

(2) المصدر نفسه .الصفحة نفسها .

وهنا صورة مستقبلية لحياة فريدة في ظل الاستقلال، وفي حالة استشهاد زوجها ، ونرى كيف تعلل لتزرع في نفسها الأمل وهنا نلاحظ استمرار النظرة اليقينية للمواطن الجزائري بالاستقلال.

نلاحظ –هنا– إشراقة الأمل في المستقبل الذي يغير حياة الناس، ويغير حتى آراءهم ، ويسمها بروح تفاؤلية .

4). الحلم يصير حقيقة :

تقترب ساعة النصر شيئا فشيئا ويبتعد الحلم عن الحقيقة لتبقى مساحة للأمل وللعمل ،من أجل إقامة صرح من النصر والانتصار والحرية والتحرر لتبقى هناك مساحة للعمل فقط من أجل تحويل الحلم إلى رؤيا حقيقية متجسدة فوق أرض الواقع .

وهذا الوعي الوطني ، والضمير الثوري الذي يمتلكه الشعب، لابد أن يأتي – حتما وقطعا وأبدا – بنتيجة ، فالوعي الوطني بالتمسك بالأرض والدفاع عن الوطن ، لا بد أن ينتهي به المطاف إلى الاستقلال، بعد أن طالت وامتدت مدة الثورة إذ يجوز أن يصل الليل إلى أبعد مدى، لكن شعاع النور لا بد أن ينير ، ولا بد لأشعة الحقيقة التي لاحت أن تكون محرقة ، بعد ما تعمد تمويهها بالغربال.

في الرواية، الجزائر تسير على خطوات النصر و تقترب من الخلاص، فقد أخبرت فريدة حماتها بأن الاستعمار الفرنسي يخضع لجبهة

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

التحرير الوطني، ويوافق على "أن تجرى المحادثات في بلده ؟! ...سألتها الحماة .

ما معنى المفاوضة يا بنيتي ؟ سدرت كيف تشرح لها " [1] شرحت لها فريدة بأن معنى كلمة المفاوضة "التفاهم أو الجلوس إلى بعضنا بغية بحث مشكلة ما ، ثم التوصل إلى حل مرض للطرفين !" [2] .

وفي سلسلة المراحل التي استغرقها الاستقلال وفي المراحل الأخيرة لميلاده "دقت ساعة منتصف نهار التاسع عشر من مارس 1962 فأعلنت دقاتها نهاية القتال في الجزائر بين المجاهدين والاستعمار ، فدق قلبها مع عقربي الساعة وصفقت يداها وارتفعت حنجرتها الساحرة بزغرودة ، بل بزغاريد دوّت في الفضاء وشقت عنان السماء ، كما كان رصاص زوجها يزمجر فيبيد الأعداء ".[17]

إذن ،وأخيراً تتلألأ الشمس، ويتحقق الحلم ويصير حقيقة، وأخيراً يبزغ فجر الحرية، وتبرز آلاء الاستقلال بعد توقف القتال الذي يعد خطوة هامة نحو السيادة والسلطة الجزائرية الكاملة .

وأخيراً بدأت الأيام الفاصلة، بل الساعات الحاسمة بين الشر والخير،الحق والباطل ، بين الحرية والاستبداد، هذه الساعات الفاصلة هي

---

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس ، ص 75
[2] المصدر نفسهً 75 -76
([17]) وأخيراً تتلألأ الشمس .ص75 .

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

الخيط الدقيق الفاصل بين سنوات الجمر وسنوات النصر وباقتراب عهد الاستقلال، "بدأت النساء تترقبن عودة أزواجهن، إلا فريدة التي خالطها اليأس من عودة زوجها، مع أن صديقتها هي أيضا التحق زوجها بصفوف المجاهدين ولكنها لم تفقد الأمل برجوعه ولم تيأس من روح الله، وإنما هي منتظره أوبة الزوج ما بين عشية وضحاها وكيف لا تنتظره وهو و ما يبرح على قيد الحياة ،كما علمت من بعض الأخبار ... وسواء أكانت هذه الأنباء صادقة أم كاذبة تغبطها ".[18]

واضعة في ذهنها أنه مادام هناك أمل، فلا بد له أن يتحقق، وكل "حي لا بد أن يترجى ... وإنما الغباوة كل الغباوة أن ينتظر رجوع لميت قد قضى على دفنه أكثر من سنوات ثلاث ... وصديقتها فاضلة نفسها ترقب عودة زوجها ما بين شهر وآخر ... أما هي المسكينة فيحق لها أن تشاطر بنات وطنها فرحتهم؟".[3]

لماذا هي كذلك لا تنتظر مع المنتظرين، ولا تسمح بأن يداخل نفسها ما يداخل النفس من ارتياب ويأس من تحقيق الفرحة والسرور.

أليست هي كذلك جزائرية "ومنزلها البدوي الذي تحف به أشجار اللوز والصبّار قد تخلص من نير الاستعمار ؟ ...بلى ... إن هذه كلها أشياء

([18]) المصدر نفسه . ص 76 .
[3] المصدر نفسه . ص 75 ، 76.

حقيقية لا غبار عليها ... وإذن فالواجب الوطني والخلقي يفرضان عليها أن تخف إلى صفوف المزغردات".[1]

تصور هاته النصوص الحلم وهو يتحوّل إلى حقيقة، وتصور أيضا فرحة الشعب بالحرية والاستقلال، ثم تنقل لنا آمال الزوجات الجزائريات وهن ينتظرن أزواجهن، وفرحة الشعب الجزائري لا تعادلها فرحة بنيل الاستقلال وإحلال السلام والانتصار، وإشراق شمس التحرر والسلام .

تضيف فريدة "آن الأوان لعودة اللاجئين الجزائريين إلى أراضيهم وأهاليهم "[2]، بالفعل هذا هو وقت العودة.

ولما حان وقت الانتخاب التقت الجموع الكبيرة وهي تدلي بأصواتها، لقد انكسر القيد، وانجلى "الظلام ... وان هي إلا ساعات معدودات من الآن حتى نشعل المشاعل ونقيم الأفراح ونملأ الوطن الحبيب من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي بهجة وحبوراً ونرفع الرايات أول مرة في كل مكان !...".[3]

وما هي إلا ساعات حتى "أعلن الاستقلال التام ... عمت الفرحة قلوب الملايين من الجزائريين والأشقاء، والأصدقاء ...وبدأت حينئذ جموح المجاهدين تعود من الجبال لتتفقد عائلاتها وأهاليها ،وكان من العائدين

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس .ص 77.
(2) المصدر نفسه. ص 79.
(3) المصدر نفسه. ص 80.

توفيق الذي قتلته الألسن الشريرة ودفنته منذ أكثر من عامين ...آثر أن يكون رجوعه إلى فريدة والوالدة مفاجأة".[4] وأدركت فريدة أن" الأحلام الشيطانية والأفكار الصبيانية، قد انقضت إلى غير رجعة مع غياب الأقدام الاستعمارية وراء البحار "[1] ،فالاستقلال هو الحلم الذي تحول إلى حقيقة، وتجسد على أرض الكفاح والنضال.

وهكذا تختتم قصة وطن مع الحرية والاستقلال، ومع شعبه المخلص والوفي بحيث أثبت الإنسان الجزائري قدرته على صنع الثورة، وصناعة الاستقلال والحرية، فالإرادة الجزائرية حققت النصر ودحضت العدوان والاحتلال ، وبهذا تكون الرواية قد قامت بإضفاء المسحة الوطنية، التي انسحبت عليها ،فبالإضافة إلى هذا الرواية عرضت صفحات من ذاكرة التاريخ وفاء للذكرى وتكريماً للذاكرة الثورية ، إذ تطرقت الرواية لحرب التحرير والثورة المباركة والتضحيات المبذولة حباً للوطن.

(4) المصدر نفسه .الصفحة نفسها .
(1 وأخيراً تتلألأ الشمس. ص83.

المبحث الثالث : تفاعل المضمون الوطني والبناء الفني في رواية " وأخيراً تتلألأ الشمس " .

1- العنوان :

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

"وأخيراً تتلألأ الشمس " هذا العنوان يوحي ويومئ بمضمون الرواية ويعكس البعد الوطني للرواية ،فهو واجهة تتجلى فيها مسحة الرواية الوطنية ،إذ لهذا العنوان علاقة وثيقة بمحتوى هذا النص الروائي .

فكلمة "وأخيراً " تبين أن هناك معركة، ثورة تنتهي بشيء،فهذه الملحمة الجزائرية ازدادت وهجاً بالثورة ،والنضال، تدل هاته الكلمة على أن هناك شيئا كان يُتَأَمّل، ينتظر ،هو الاستقلال .

أما كلمة "تتلألأ " فهي فعل يدل على التوهج الجميل للشمس، إذ أن الشيء الذي يتلألأ هو شيء جميل تتوق إليه، النفس.

أما المقصود من كلمة " الشمس " فهو الحرية ،والاستقلال، والنصر ، والتحرر فشمس الحرية يأملها كل مواطن جزائري ،ويتأملها الشعب بكل تلهف ..

فالظلام الذي كان سائداً على كل ربوع الوطن اشتد وطال، لكن – أبداً – لن يعمّر إذ لا بد أن يعقب هذا الليل فجر هو فجر الحرية، ولا بد لهذا الفجر أن تعقبه الشمس ، شمس الحقيقة التي لاحت بعد أن تم تحويرها ومحاولة طمسها .[1]

[1] ينظر ، وأخيراً تتلألأ الشمس. ص 66

وأخيرا حلم الاستقلال والحرية تحقق، وانجلى الليل بظلمه واستبداده، ليترك مساحة للشمس ،وبزوغها ، وكشفها للحقائق ،وإشراقتها بنور الحقيقة، والحق الذي عاد لأصحابه .

2- الشخصيات :

يشارك في هذه الرواية عدة شخصيات ،هناك "توفيق " وهو بطل الرواية الذي كانت رغبته ملحة في الانضمام إلى صفوف المجاهدين من أجل الكفاح معهم ضد المحتل.

لقد أدرك توفيق أن الجزائر تحتاج إلى أبنائها من أجل الدفاع عنها ،فيقول لزوجه :"ما حيلتنا ووطننا يريدنا جميعاً أن نقوم بالدفاع عنه ؟ ... ما قولنا للحرية المفقودة وهي تنادينا كل يوم أن نسترجعها ؟! ... رفعت فريدة الحنون رأسها إليه ، وقالت في صوت يخنقه البكاء : لن أحول بينك وبين ما أنت عازم عليه ... أنا أيضا جزائرية ".[1] .

"فتوفيق " قد قدر مدى حاجة الجزائر له ولأمثاله ،ورأى بأنه لا يجب أن يشغله أي شيء عن تلبية النداء، نداء الجزائر، ونداء الواجب الوطني.

[1] وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 51.

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

"فريدة " : وهي من الشخصيات الفاعلة في الرواية، إذ سمح لها وعيها الناضج ، وإدراكها بدعم زوجها في مسيرته النضالية ،وتسهيل الأمور له، لم تكن عقبة في طريقه، تمنعه من تحقيق هدفه ،هذا ما جعلها تتمتع بخاصية الانفعال ،والتفاعل إذ تفاعلت مع زوجها،وباقي الشخصيات، وانفعلت مع الهدف العظيم الذي كان يسعى إليه زوجها، وهي أيضاً، وهو الحرية والاستقلال وكذا انفعالها برحيل زوجها إذ جاء في الرواية عنها :"أما الزوج اليافعة الشباب، فقد كانت تقاسي الأمرّين من الوحدة و تكابد العذاب .... من العزلة ... وبلغ بها اليأس مبلغه ، فودّت أن لو لم تلدها أمها حتى لا تتعذّب هكذا، ولا تتجرع كؤوس العلقم في صمت ... " [2]."الوالدة" : تمثل الوالدة الشخصية المضحية والمكافحة والمناضلة.وتمثل والدة توفيق المرأة الصلبة القوية، الثابتة العزيمة، التي يُحتاج إليها في الشدائد إذ هي مثال للمرأة الجزائرية في أيام الثورة فقد لقنتها السلطة الاستعمارية درساً قاسياً شظفاً في الحياة ، عرفت كيف لا تستسلم في أوقات الجّد، وتعلمت كيف تواجه المواقف القوية التي قد تؤدي بنساء أخريات، لم يعشن ما عاشته إبّان الثورة إلى الخضوع بالقول وقفت الحماة في ثقة وهي تواجه هؤلاء المتلهفين ".[1]

(2) المرجع نفسه . ص 61.
(1) وأخيراً تتلألأ الشمس، ص 70

تواصل الوالدة قائلة :"إنكم بدل أن تواسونا وتشّجعونا حتى آخر لحظة من لحظات ثورتنا ،تحاولون عكس ذلك أن تزرعوا في طريقنا الأشواك لتحولوا بيننا وبين بلوغ مآربنا ...".[2]

"الشيخ مبارك ": هو الشخصية المثقفة والمتدينة ،والمحبة للتضحية، يمثل الشيخ مبارك الشخصية الرزينة، والرصينة ،والمتعقلة والمطّلعة على الثقافة الإسلامية، يمتلك هذا الشيخ بساطة بدوية، وبشاشة دائمة، وحفاوة استقبال ،وكرم ضيافة ،قد وصفه توفيق بأنه طيف باسم، وملك رحيم.

"العمة رحمة" هي والدة فريدة، والإنسانة البسيطة المتواضعة .

- "فاتحة"شقيقة فريدة الكبرى. -"صالحة" شقيقة فريدة الوسطى.
تمتلك فاتحة وصالحة خبرة ، وحنكة في الحياة بحكم التجربة.

فكلما كانت الشخصية محل الاهتمام والتركيز، كانت أداة لاكتشاف الواقع؛لأنها -ولا بد من ذلك- تمثل وتحمل تشابكات الحياة ومظاهرها،ومعطياتها، وما يعتوِر هذه الحياة من تناقضات،ذلك أن الشخصية في الرواية غير مفصولة عن العالم الذي تنتمي إليه،من أناس وأشياء، فالشخصية الروائية لا يمكن تصورها "ككوكب معزول إنها مرتبطة

(2) المصدر نفسه ، ص 70

بجملة من العلاقات وعن طريق هذه العلاقات فقط يمكنها أن تعيش"[3]
،فهذه العلاقات تبث الحياة والحركة والحيوية في الشخصية.

دلالة الأسماء:

توفيق: يوحي اسمه بانه وفق في الانضمام للجبهة.

فريدة: فهي تعني انها شخصية متميزة

مبارك: هو اسم يتوافق والصفاء والأريحية.

(3) L'univers du roman , Roland Bourneuf et Réal ouvellet, paris ,p.u.f 3 e édition , 1981, p150.

3).الزمــن:

تغطي فترة الرواية الزمنية الفترة ما بين سنة 1956 ،و 1962 ،ومن التنويعات الزمنية التي وردت في الرواية:الارتداد والاستباق وقد توزعت في مواضع من ذلك هاته النماذج:

الارتداد	الاستباق
- "الجزائريين كانوا كلهم إبّان الثورة يفهمــون بالإيحــاء ، ويــدركون الغــرض بــاللمح الخفيــف أو	- "وعلـيّ أن اشـترط ذلـك يـوم ترتفـع الراية خفّاقة ،وسأتقدم عندئذ إلى الدولة بمطالبي " .[3]

(1) وأخيرا تتلألأ الشمس . ص .32.

الإيماءة ولو لم يكونوا على هذا النحو من الاستعداد والذكاء ، لما كان لتلك الثورة الجبارة التي أدهشت العالم أن تنتصر ".[1] - "راودته أحلام ... كيف سيصنع بالعدو ... كيف سينبطح ويلقي بقذائف مدفعه على المخابئ وهم يغربون عن وجهة مولّين الأدبار ،وهو يتعقبهم بما يملك من سلاحي الإيمان والبسالة "[2]	- "لم لا يرتدي بدلة قماشية خضراء ، أو زرقاء أو هي خليط منهما معا ، كتلك التي يزين بها المجاهدين ؟ ...لماذا لا تكون له بندقية ، ورشاش ؟ ... بل مدفع هاون ، حتى يقضي على الكلاب الضارية الجائعة التي نجستأرض الجزائر الطهور ، وانتهكت حرمات مقدساتها ". [4] - " رأى نفسه كيف أنه صغير وهو بصحبتهم ينجر ،يوشك أن يلحق بخطواتهم ... أجهد نفسه وشق عليها ، فألفاها بين مخاطر محدقة ، ومهاول محققة لا ينجيه من الغرق فيها إلا الجرأة والإقدام والبسالة "[1] -"فبأي جديد ستعود الذكرى في

(2) المصدر نفسه ص 30
(3) المصدر نفسه .ص37.

(4) المصدر نفسه .ص36 .
(1) وأخيراً تتلألأ الشمس .ص39 .

	العام المقبل ؟ باستقلال الجزائر التام ، وبالحرية الكاملة ، وبظهور الراية الخفاقة المرفرفة على ربوع وطني الحبيب ، أم بنعي زوجي الغالي وامتداد اجل الثورة ؟ ...أظن أن الحل الثاني هو الذي سيكون".(2) "فإذا هي ترى زوجها متزينا بثياب خضراء قشيبة ... أرادت أن تدنو منه ...كان يطير بجناحين في الهواء كطائر جميل خفيف ... نادته ...فتحت ذراعيها لتحضنه ... لم يلبّ طلبها لم يحفل بندائها ، لم يكترث لحسراتها وآهاتها ...انطلق عالياً فظلت تشيعه ذاهلة وهو يتوارى عنها".(3)

وهكذا يظهر من خلال هذا الاختلاف الزمني أنه يخلق تنوعاً زمنياً، ويكسر الرتابة الزمنية، ويمنح نوعا من الحركة والحياة لزمن الرواية،

(2) المصدر نفسه. ص63 ،64.
(3) المصدر نفسه. ص64.

بالإضافة إلى أنه يحمل الأحلام المستقبلية بالحرية والاستقلال، وانتصار الثورة.

4). المكـان :

إن تقديم مفهوم الإنسان الجزائري يتمثل في قدرته على صنع الثورة، وبذل التضحيات، وهذا ما يعزز توطد وتمتن علاقته بأرض وطنه، وعلاقته بالزمن والمكان وهذا هو المفهوم الذي حاول الكاتب تقديمه من خلال روايته، وفي هذا السياق يقول "ميشال زرافا"Michel Zéraffa " :"إن مفهوماً معيناً للإنسان يحدد جمالية معينة للرواية".[19]

فالمكان في هذه الرواية هو المهجر، والوطن الذي نشأت فيه الشخصيات هو الجزائر التي قد طردهم منها الاحتلال، وبالتالي سكنوا في أرض غير أرضهم ، وما ورد في النص يوحي بذلك، إذ جاء على لسان

([19])La Révolution Romanesque , Michel Zéraffa ,Union générale d'édition , paris, 1972 ,p :32.

"العمة رحمة " لتوفيق :" علمت من جارنا الميلود أنكم جزائريون مهاجرون مثلنا".[2]

فالمكان هو جزء من العناصر المشكلة للحدث الروائي، كما هو طرف مهم في علاقة الإنسان بالأرض والوطن.

و مفهو الكان في هذه الرواية متعدد الجوانب والأوجه فهو مستمد من السيادة فالمكان يعني أن تكون سيد بلدك و مفهوم المكان أيضاً يعني الحرية والاستقلال والأمان والملاذ .

5) .اللغة السردية :

النسيج اللغوي :

إن تواجد خطاب أدبي يستلزم وجود خطاب غير أدبي. وبالتالي فأدبية الأدب تقتضي تمييز النص الأدبي بمقاييس، وخصائص تجعل من النص

(2) وأخيراُ تتلألأ الشمس . ص 22.

نصاً أدبياً، والوقوف على عناصر أدبية في العمل، يعني إثبات أدبيته، وأهليته لأن يوصف بالأدبية، ومن ذلك يمكن القول أن هناك من يرى أن هدف "علم الأدب" ليس دراسة الأدب، بل دراسة أدبية الأدب [1]، أي ما يجعل من الأدب أدباً.

يتضح من خلال لغة الرواية أن الكاتب يمتلك باعاً في اللغة العربية، إذ تكشف هذه اللغة عن قدرة وتمكن من ناصية اللغة العربية .

بالإضافة إلى تمسح لغة الرواية بالمسحة الدينية، إذ أن هذه اللغة تتخللها الألفاظ القرآنية ،والعبارات التي تدل على التشبع بنبع القرآن الكريم . والتراث الإسلامي والعربي الأصيل .

اللغة الحوارية :

هناك عدة مواضع في الرواية نجد فيها الحوار، ومن ذلك ما دار بين فريدة وتوفيق "ولكن ما حيلتنا ووطننا يريدنا جميعاً أن نقوم بالدفاع عنه ؟... ما قولنا للحرية المفقودة وهي تنادينا كل يوم أن نسترجعها ؟!.."[2] .

وكذا الحوار الذي جرى بين توفيق والشيخ مبارك وفريدة :"هذه ابنتي أقدمها لك، وهذا جارنا يا بني ما اسمك يا ولدي ؟ ...توفيق يا عمي

---

(1) ينظر، Les catégories du récit littéraire .Tzevétan Todorov , in communication 8 , coll édition du seuil ,paris,1981,p131.

[2] وأخيراً تتلألأ الشمس .ص 51.

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

...جارنا توفيق نزل بالقرب منا منذ قرابة شهر، كما أخبرتني بذلك أمك قبل قليل ... قال توفيق:

تشرفنا ،وأجابت فريدة: لنا الشرف العظيم ، بمعرفة جارنا ".[1]

يتضح من خلال ما تقدم أنه يوجد في الرواية النصوص الحوارية التي تخدم بعد الرواية.

لغة المناجاة :

ومن أمثلة المناجاة الواردة في الرواية ما ناجت به فريدة نفسها :"إننا الآن في سنة 1996، فقد مضى على ذهابه إذن عام كامل فيا لها من ذكرى مشؤومة ، مليئة أحزاناً وأشجاناً !...فبأي جديد ستعود هذه الذكرى في العام المقبل ؟ باستقلال الجزائر التام، وبالحرية الكاملة، وبظهور الراية الخفاقة المرفرفة " . [2]

وتضيف فريدة قائلة :"أم بنعي زوجي الغالي وامتداد أجل الثورة ؟...أظن أن الحل الثاني هو الذي سيكون، وهل الدنيا إلا شر وشؤم ".[3]

وهكذا نلاحظ أن العناصر الفنية هذه الرواية تفاعلت مع مضمون الرواية، إذ هناك التحام، وانسجام وتفاعل بين البعد الوطني والبناء الفني.

---

(1) وأخيراً تتلألأ الشمس . ص 28 -29
(2) المصدر نفسه.ص 63.
(3) المصدر نفسه.ص 63، 64.

الفصل الثاني
البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس"

الخاتمة

الخـــاتمة

ظل الوطن هاجس الشعب الجزائري الواعي والمدرك الذي ترك بصمته في صفحة هذا الوجود من خلال ثورته الخالدة، والمثبتة لإرادة هذا الشعب التي كانت أقوى مما تضطرب به وجوه الحياة الوطنية ،فتحقق بذلك ماكان يسعى إليه هذا الشعب من استقلال وحرية .

هذا وقد قامت الرواية الجزائرية برسم صورة الثورة والوطن، وتعرضت لمختلف القضايا المتعلقة بالهم الوطني، وصوّرت الإنسان الجزائري المحرك للثورة بوعيه الوطني وإدراكه لحقيقة الواقع وضرورة النضال .

إضافة إلى ذلك فموضوع الثورة يعطي للكتاب فرصة الإبداع ،إذ يفسح لهم المجال للانطلاق في عالم الوطن والثورة والكفاح، ويدعوهم لرسم معالم وملامح المشهد الجزائري في نضاله وجهاده نحو النصر، إذ اتُخذ من هذا الموضوع فضاءً للإبداع.

و الموضوعات المتناولة في الرواية الجزائرية متنوعة و مختلفة يمكن ذكر بعض منها كما يلي :

- الثورة الجزائرية .
- التطبيق الاشتراكي.
- الثورة الزراعية .
- الالتـزام .
- المهـجر.

- الإرهـاب.

هذا و لم تتمكن الكتابات الروائية من الانفصال عن أحداث الثورة الجزائرية والموضوعات التي تتعلق بالوطن، فما زالت تمثل هذه الثورة المعين التي تتزود منه بعض الأعمال الروائية.

لقد دارت بعض الأعمال الروائية الجزائرية حول التبشير الذي سبق الثورة ،وعلاماتها، والتهيئة النفسية لها، كما سجلت موقف الجزائريين من الاحتلال، ورغبتهم في مقاومته، وأملهم في الحرية .

إضافة إلى هذا فالروايات التي تدور حول محور الثورة نجدها مشحونة بالمسحة الوطنية التي تقدم صورة لظلم الاحتلال وجوره وسيطرته واستبداده، وما سببّه من معاناة للشعب الذي حوّل كل هذا إلى ثورة ينتفض بها من خناق الاحتلال.

و ما يدفع الأديب لتحقيق فعالية الأدب في التعبير عن هموم الأمة الجزائرية هو توقّد الحس الوطني، ويقظة الحب لهذه الأرض، وشحن شعور الارتباط والانتماء لها.

ورواية "وأخيرًا تتلألأ الشمس " "لمحمد مرتاض" تكشف عن هذا الحس الوطني، وعن وعي المجتمع ونضجه واستعداده لدعم الثورة من الناحية المادية والمعنوية، كما يبين هذا العمل حب الشعب للمجاهدين والثوار، الذين يغرسون في أفراد الشعب الرغبة الجامحة في الالتحاق بالثورة .

الخـــاتمة

يصور هذا العمل المجتمع الجزائري تصويراً واقعياً، بالإضافة إلى رسمه الصورة المثالية للمجاهدين، وعرضه التكامل بين مطالب الذات ومتطلبات الواجب الوطني المتمثل في العمل على الالتحاق بالثورة، ويعرض العمل –أيضاً– الوعي الوطني بالتمسك بالأرض والدفاع عن الوطن ،وتجلى هذا في استجابة الشعب لنداء الواجب الوطني، و تقدم هذه الرواية . أيضا . العمل الثوري وصعوبة بداياته وضرورة النضال والكفاح .

وتؤكد الرواية كل التأكيد على وعي المجتمع الجزائري بقضيته الوطنية ،وإدراكه كل الإدراك لثورة وطنه الكبرى التي لا تفتر نارها حتى النصر والحرية والاستقلال ،أو الاستشهاد .

وهذا الوعي الوطني هو وعي عميق بواجب الالتزام بالقضية الوطنية ،وضرورة الدفاع عن الأرض بكل صور تضحية الشعب بجميع فئاته من أجل إحلال الاستقلال والحرية ،ولقد قام المؤلف بنقل هاته الحياة الجزائرية في فترة الاحتلال إلى القارئ، فقدم له حياة الشعب الجزائري في صراعه مع الاحتلال.

وصورة أخرى ينقلها الكاتب في رسالته إلى الإنسانية يهدف إلى القول من خلالها بأن الجزائر لما نادت "بالحرية "، لبّ شعبها النداء، وأقبل عليها

الخـــاتمة

في غيرما توانٍ ،من أجل إخراج الاحتلال من أرضها، التي عاث فيها فساداً، فأثبت هذا الشعب بذلك أنه غير قابل للاستعمار والاستعباد .

و تكشف الرواية . أيضاً . عن مقومات الإنسان الجزائري الإسلامية، والعربية، و عن ثقافته الوطنية،كما نلمس من خلال هذا العمل تشبع الكاتب بالروح الإسلامية والتفكير الواعي والمدرك.

يمثل أشخاص هذه الرواية الإنسان الجزائري في صنعه للثورة وتفاعله معها وتفعيله لها، فقد قام بقيادة ثورته بحماس وبشجاعة وبخطى رزينة في مسيرة تحقيق الهدف ،في عمر من النضال والكفاح.

وتؤكد الرواية – أيضاً– على الواجب الوطني؛ واجب الكفاح والنضال ،الذي ليس له صورة واحدة، بل هو متعدد الجوانب والأوجه.

"وأخيراً تتلألأ الشمس "عنوان يعكس، ويوحي بالبعد الوطني، و يومئ بمسحة الرواية الوطنية، وما يلاحظ– أيضاً–من خلال هذا العمل تفاعل الشخصية الروائية مع المضمون، ناهيك عن تواطؤ الزمن والمكان مع المحتوى لإعطاء مزيد من التوهج لبعد الرواية.

أما اللغة فقد اتسمت بالمسحة الدينية ؛فنجد الألفاظ والتعابير –مثلاً– مقتبسة من القرآن، بالإضافة إلى تعزيز قوة هاته اللغة بالأشعار، وهذا يدل على تشبع الكاتب بالقرآن الكريم ، والتراث الإسلامي ، والعربي الأصيل.

الخـــاتمة

رسمت هذه الرواية الإنسان الجزائري في قدرته على صنع الثورة ،ودحض الاستبداد، وصورت شخصيته المشحونة بالأنفة ،وبموروثه الإسلامي ،العربي والتاريخي ،والمتعطشة للحرية ،والتواقة للخلاص والمتلهفة للاستقلال.

يتضح من خلال ما تقدم أن هذه الرواية ثرية بصور مقاومة ونضال، وكفاح الإنسان الجزائري، تكشف هذه الصور عن الوعي الوطني الذي يدعو إلى التمسك بالأرض، والدفاع عن الوطن، والتطلع للحرية والاستقلال .

هذا وأبرز الكاتب من خلال روايته مفهومه للوطن والوطنية ،إذ أن هذا المفهوم مشحون ومعزز بصورة الوطن التي تتألف عنده من الوعي الوطني، والحرية، والاستقلال ومعاني النضال، وتوخي مصلحة الوطن .

هذا ،وقد قام المؤلف من خلال روايته برسم معالم وملامح المشهد الجزائري والمتمثلة في الثورة ضد الاحتلال، وفي علاقة الإنسان الجزائري الوثيقة بأرضه، والتي تجسدت في العمل والجهاد، من أجل أن ينجلي الليل وتتكسر القيود.

بالإضافة إلى هذا يمكن اعتبار هذه الرواية وثيقة تاريخية وسياسية واجتماعية للمشهد الجزائري ،فهي تقدم صورة للشعب الجزائري في كفاحه ونضاله ،وفي خوضه لمعارك في حرب تحريرية عادلة ،تعمل للحرية والحضارة بمثل ما تعمل لطرد المحتل و إحراز الاستقلال .

الخـــاتمة

في ختام هذا العرض لنتائج البحث يجب التأكيد على أن كل بحث لا بد أن تكتنفه جوانب القصور والخطأ التي هي من سمات الإنسان، هذا من جهة أما من جهة أخرى،فهذا الموضوع قابل للعديد من القراءات، والمساءلات والمناقشات وفيه جوانب تستعصي على الإفضاء بمكنونها، دون معرفة بعالمها.

الخـــاتمة

القــرآن الكريم

بروايــة ورش

I- مراجع بالعربية:

1. آفاق الرواية (البنية والمؤثرات – دراسته) .محمد شاهين ،اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ، د ط ، 2000 .
2. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر .أبو القاسم سعد الله ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،ط2، 2005.
3. الاتجاهات الوطنية في الشعر الليبي الحديث.محمد مصادف عفيفي،دار الكشاف للنشر والتوزيع ،بيروت ،القاهرة ،بغداد ،دط ،1996 .
4. الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية (بين الحربين العالميتين 1919 ،1939).يوسف مناصرية ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،دط،1988 .
5. أحمد رضا حوحو في الحجاز.(1934–1935) .صالح خرفي ،دار الغرب الإسلامي ،لبنان ،1،1992.
6. الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير .نور سلمان ،دار العلم للملايين ،بيروت ،ط1 ،1981 .
7. الأدب الجزائري المعاصر .سعاد محمد خضر ،المكتبة العصرية ،بيروت ،دط ،دت.
8. الأدب الجزائري المعاصر .محمد صالح الجابري ،دار الجيل ،ط1 ،1426هـ–2005 م

9. أدب الحرب .نجاح العطار وحنامينة ،دار الآداب ،بيروت ،ط2 ،1979.
10. الأوراس فـي الشـعر العربـي ودراسـات أخـرى .عبـد الله ركيبـي ،الشـركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،دط ،1982.
11. البزاة.مـرزاق بقطـاش ، الشـركة الوطنيـة للنشـر والتوزيـع ،الجزائـر ،دط ،1983.
12. البنيـة الفنيـة فـي القصـة الجزائريـة المعاصـرة (1974–1985–دراسـة) .شريبط أحمد شريبط ،اتحاد الكتاب العرب ،دط ،1998 .
13. تاريخ الأدب الجزائري . محمد الطمار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، دط ، 1981.
14. تـاريخ الجزائـر الثقـافي (1930–1954).أبـو القاسـم سـعد الله ،دار الغـرب الاسلامي ،بيروت ،ط1 ،1998،ج4 .
15. تاريخ الجزائر العام .عبد الرحمن محمد الجيلالي ،دار الثقافة ،لبنان ،ط1 ،1400هـ –1980 ،ج4.
16. تطـور الأدب القصصـي الجزائـري (1925–1967) .عايـدة أديـب باميـة ،تر: محمد صقر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،دط ،دت .
17. التفكك . رشيد بوجدرة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2 ،دت.
18. ثمن الحرية . محمد مرتاض ، دار البعث ، قسنطينة ، 1987.
19. الثورة في شعر محمود درويش. ياسين أحمد فاعور،دار المعارف للطباعة والنشر ،تونس،د ط ،1989.
20. الجزائر والأصـالة الثوريـة .صـالح خرفـي ،الشركة الوطنيـة للنشـر والتوزيـع ،الجزائر ،دط ،دت .

21. الحيـاة الروحيـة فـي الثـورة الجزائريـة .محمـد زروال ،المتحـف الـوطني للمجاهد ،الجزائر ،دط ،1994 .
22. الخـط العربـي وتاريخـه .محمـد مرتـاض ،ديـوان المطبوعـات الجامعيـة ،الجزائر ،1994 .
23. دراسات في الأدب الجزائري الحديث .أبو قاسم سعد الله ، الدار التونسية للنشر ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري ، تونس ، الجزائر ، 1985 ، ط3.
24. دراسات في الرواية الجزائرية . مصطفى فاسي ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2000.
25. دراسات في القصة الجزائرية القصيرة والطويلة .عمر بن قينة ، المؤسسة الوطنية لكتاب ، الجزائر ، دط ،1986.
26. الدروب الوعرة .مولود فرعون ،تر :حنفي بن عيسى ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،ط5 ،1990 .
27. ذاكرة الجسد .أحلام مستغانمي ،موفم للنشر ،دط ،1993.
28. الأدب الجزائري المعاصر .سعاد محمد خضر ،المكتبة العصرية ،بيروت ،دط ،دت.
29. الأدب الجزائري المعاصر .سعاد محمد خضر ،المكتبة العصرية ،بيروت ،دط ،دت.
30. الرواية المغاربية (الجدلية التاريخية والواقع المعيش ، دراسة في بنية المضمون).إبراهيم عباس ، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر والإشهار الجزائر ،دط ،2002.
31. ريح الجنوب . عبد الحميد بن هدوقة ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ط 2 ، 1978.

32. الزلزال . الطاهر وطار ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د ط ، دت.
33. الشخصية في الرواية الجزائرية (1970 – 1983). بشير بويجرة محمد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط ، دت.
34. العشق والموت في الزمن الحراشي . الطاهر وطار ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، دط ،1983.
35. طيور في الظهيرة .مرزاق بقطاش ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،دط ،1981.
36. فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931–1954) .عبد الملك مرتاض ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،دط ،1983 .
37. في الأدب الجزائري الحديث (دراسة).أحمد دوغان،اتحاد الكتاب العرب ،دط ،1995.
38. في الأدب الجزائري الحديث (النهضة الأدبية الحديثة في الجزائرمؤثراتها –بدايتها – مراحلها) .محمد بن سمينة ،مطبعة الكاهنة ،الجزائر ،دط،2003 .
39. في الأدب والتأليف والترجمة .فضيل دراج ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ،ط3 ،1993.
40. قراءات في القصة الجزائرية .أحمد منور، مكتبة الشعب الجزائر ،دط ،1981.
41. القصة الجزائرية المعاصرة .عبد الملك مرتاض، المؤسسة الوطنية للكتاب ،دط،1990.
42. اللاز .الطاهر وطار ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،د ط، د ت.

43. مالا تذروه الرياح .عرعار محمد العالي ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط2 ،1982.

44. مباحث في الأدب الجزائري المعاصر .شريبط أحمد شريبط ، اتحاد الكتاب الجزائريين ،الجزائر ،ط1،2001.

45. المثقفون الجزائريون والثورة .العربي الزبيري ،المتحف الوطني للمجاهد ،الجزائر ،دط ،دت .

46. مفاهيم جمالية في الشعر العربي القديم (محاولة تنظيرية وتطبيقية) محمد مرتاض ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1998.

47. من أعلام تلمسان (مقاربة تاريخية فنية) محمد مرتاض ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،دط ،دت .

48. من قضايا أدب الأطفال (دراسة تاريخية فنية).محمد مرتاض ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1994 .

49. مولود فرعون (حياته وأعماله) .يوسف نسيب ،تر:حنفي بن عيسى ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،دط ،1991 .

50. النثر الجزائري الحديث .محمد مصايف ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،دط ،1983.

51. نجل الفقير .مولود فرعون ،تر :محمد عجينة ،المؤسسة الجزائرية للطباعة ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،دط ،1987 .

52. نصوص وأسئلة (دراسات في الأدب الجزائري).صالح مفقودة ،منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ،دار هومة ،ط1، 2002.

53. نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر 1925 – 54 . عبد المالك مرتاض ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، ط 1 ، 1983 .

54. النقـد الأدبـي القـديم فـي المغـرب العربـي (نشـأته وتطـوره – دراسـة وتطبيق).محمد مرتاض ،اتحاد الكتاب العرب ،دط ،2000.
55. نهايـة الأمـس .عبـد الحميـد بـن هدوقـة ،الشـركة الوطنيـة للنشـر والتوزيـع ،الجزائر ،ط2 ،1978 .
56. وأخيـراً تـتلألأ الشـمس . محمـد مرتـاض ، المؤسسـة الوطنيـة للكتـاب ، الجزائر ، د ط ، 1989.

II- المعاجم والموسوعات:

57. ديوان الأدب (معجم لغوي تراثي) .أبو إبراهيم الفارابي ،تروتح :عادل عبد الجبار الشاطبي ،مكتبة لبنان ناشرون ،د ط، 2003 .
58. لسـان العـرب .ابـن منظـور ،دار بيـروت للطباعـة والنشـر ،بيـروت ،دط،دت،ج3.
59. موسوعة الفكر الأدبي .نبيل راغب ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،دط ،2000.

III- المجـلات:

60. مجلـــة الآداب قســـنطينة ،العـــدد 2 ،1416هـــ –1995م،و العـــدد 6،1423هـ/2003م

61. الآداب الأجنبيـة .اتحـاد الكتـاب العـرب ،دمشـق ،العـدد 113 ،شـتاء 2003،السنة28.

62. مجلـة الآداب والعلـوم الإنسـانية ،كليـة الآداب والعلـوم الإسـلامية ،جامعـة الأميـر عبـد القـادر للعلـوم الإسـلامية ،قسـنطينة ،العـدد 5 ،ربيـع الثـاني 1426هـ –ماي 2005م.

63. مجلة الحداثة ،السنة السابعة ،العددان 55و56 ،2001 .

64. مجلة الشهاب .دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ط1 ،2000.

65. عالم الفكر .وزارة الإعلام ،الكويت ،العدد 3، يناير فبراير مارس،1933.

66. المجلة العربية للعلوم الإنسانية .مجلس النشر العلمي ،الكويت،العدد 57 ،سنة 15 ،شتاء 1997 .

67. عـالم المعرفـة .المجلـس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب ،الكويـت ،العـدد 188 ،صفر 1415هـ أغسطس /آب1994 م .

68. فصـول. الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب ،القـاهرة ،العـدد الثالـث ،خريـف 1994.

69. الفضـاء المغاربي .مخبر الدراسات الأدبية والنقدية وأعلامها في المغرب العربـي ،جامعـة أبـي بكـر بلقايـد ،تلمسـان ،العـدد الثالـث ،السـنة الرابعـة ،شعبان ،1426هـ ،سبتمبر 2005 م.

70. مجلـة اللغـة والأدب .معهـد اللغـة العربيـة وآدابهـا ،دار الحكمـة ،جامعـة الجزائر،العدد 13 ،شعبان 1419 هـ 1ديسمبر 1998 .

71. مجلـة المعرفـة .وزارة الثقافـة فـي الجمهوريـة العربيـة السـورية ،السـنة 36 ،العدد 412 كانون الثاني 1998.

72. الموقف الأدبي .اتحاد الكتاب العرب،دمشق ،العدد 325 ،السنة 28 ،أيار 1998م – محرم 1419هـ.

V. مراجع بالفرنسية:

73. Les catégories du récit littéraire .Tzevétan Todorov , in communication 8 , coll édition du seuil ,paris,1981
74. Roman et société .Michel Zérafa ,presses universitaires de France ,2 e édition , 1972
75. Essais critique .Roland Barthes, éditions du seuil, paris, 1964 .
76. Lecture présent de Mohammed Dib .Charles Bonn , entreprise nationale du livre, Alger,1988.
77. Léttérature et signification .Tzevétan Todorov, Larousse, paris, 1967 .

78. L'œuvre en fragment.,Kateb Yacine édition sindibade ,paris,1986,p14

79. La Révolution Romanesque , Michel Zéraffa ,Union générale d'édition , paris, 1972 .

80. L'univers du roman , Roland Bourneuf et Réal ouvellet, paris ,p.u.f 3 e édition , 1981

V. المواقع:

81. format de fichier ,microsoft word- version HTM
82. http://www.aljazeera .net /NR/exeres /htt 92 Deec 7 1b – Ad-Ea-9e 18-E64428567b Cd.Htm.
83. http://www.alsakher .com /vbe/chow threed.php?-t=109925.

84. http://www.ac –mersailles.fr/pedgogie langue arabe/biographie.ben haddougha .htm.
85. http://www.arab world books.com authors-water .htm.
86. Htt:// dardasha .net /monta/archine index php/t-89834-htmt.
87. http://www.divan alarb .com/spip?article 1897.
88. Dz blog.net soleil 55/5524/& %23160%3B.
89. http://www.magharebia.com/cocoon/awi/xhml1/ar/features /2005/10/07

الخـــاتمة

مســـــرد المحتويات :

البسمـــــلة

الإهـــــداء

كلمة الشـكر

المقدمة

.....

.....أ- هـ

المدخل :السيرة الذاتية والعلمية " لمحمد مرتاض"

.....11

1- حياة "محمد مرتاض "

2- السيرة العلمية " لمحمد مرتاض ".

3- آثاره .

الفصل الأول : الرواية الجزائرية والبعد الوطني

.....24

المبحث الأول :تطور الرواية الجزائرية وموضوعاتها

.....25

1- نشأة الرواية الجزائرية

.....25

2- تطور الرواية الجزائرية.....38

3- موضوعات الرواية الجزائرية.....44

المبحث الثاني :البعد الوطني في الرواية الجزائرية

.....53

الخـــاتمة

1- المعالم الوطنية قبل الاستقلال 53
2- المعالم الوطنية بعد الاستقلال 65
الفصل الثاني : البعد الوطني في رواية "وأخيراً تتلألأ الشمس".....79
المبحث الأول:وعي المجتمع وتواصله مع الثورة 80
1- دعم المجتمع وحبه للثورة 80
2- وعي المجتمع بقضيته الوطنية 88
3- التضحية لأجل وطن حر.....92
المبحث الثاني : استقلال الوطن وحرية الشعب 98
1- الاستجابة لنداء الواجب الوطني 98
2- التحليق في حلم الاستقلال 106
3- العمل على تحقيق الحلم 109
4- الحلم يصير حقيقة 112
المبحث الثالث :تفاعل المضمون الوطني والبناء الفني في رواية " وأخيراً تتلألأ الشمس".....116

الخـــاتمة

1- العنوان .....116....
2- الشخصيات.....117.....
3- الزمن.....119.....
4- المكان.....121.....
5- اللغة السردية 122
الخاتمة.....125.....
مسرد المصادر والمراجع 130

الخـــاتمة

ملخص البحث:

لقد تم التطرق في هذا البحث للرواية الجزائرية وتطورها وموضوعاتها ونشأتها ،وكيف تجلت المعالم الوطنية في الرواية الجزائرية قبل الاستقلال وبعده.

كما تم التعرض لمظاهر البعد الوطني في رواية وأخيرا تتلألأ الشمس ،إذ لابد من التركيز على فكرة وعي المجتمع بقضيتة الوطنية ثم التضحية من أجل تحرير الوطن .

بالاضافة الى هذا فالرواية تتناول أيضا استقلال الوطن وحرية الشعب ،وكيف ان هذا الشعب استجاب لنداء الواجب الوطني وعمل على تحقيق حلم الاستقلال ،وصيره حقيقة .

وأخيرا تم التعرض في هذا البحث للعنوان ورتباطه بالمحتوى ،ثم الشخصيات وكذا الزمن والمكان واللغة السردية ودلالة الاسماء.

الخـــاتمة

Résumé de la recherche:

A été abordée dans cette recherche pour le roman et le développement de l'Algérie et les thèmes et les origines et la façon dont il reflète les critères nationaux dans le roman de l'indépendance algérienne et au-delà.

Ont aussi été exposés à des aspects de la dimension nationale, dans le roman, et, enfin, le soleil illumine, car il doit se concentrer sur l'idée de la prise de conscience de la communauté de son cas et ensuite sacrifiés pour la libération de la patrie.

En plus de cette adresse Valroaip également l'indépendance de la patrie et la liberté du peuple, et la façon dont les gens ont répondu à l'appel du devoir national et à réaliser le rêve de l'indépendance, et la réduction de la réalité.

Enfin, l'exposition de cette recherche le titre et le contenu Rtbath, et les personnalités, ainsi que le temps, le lieu et le récit de langue et de la signification des noms.